جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

التلوين والتمكين عند الصوفية وتطبيقاتهما في التفسير الإشاري

إعداد

أ.م/ عزه سيد عزوز محمد

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات سوهاج

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الرابع والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ- يونيو ٢٠٢٥م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي
The Online ISSN 2974-4679 و I.S.S.N 2974-4660

"التلوين والتمكين عند الصوفية وتطبيقاتهما في التفسير الإشاري"

عزه سيد عزوز محمد.
أستاذ مساعد قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: azzamohamed. 3519@azhar. edu. eg

ملخص البحث: ـ

تعد مصطلحات الصوفية من أصعب المصطلحات فهما وإدراكا، خاصة إذا كان الناظر إليها من خارج دائرتهم، لتعدد دلالاتها بتعدد أحوالها ومقاماتها، لا تُعرف من طريق العقل والنظر، بقدر ما تفهم عن طريق الذوق والكشف، فهي عبارات وكلمات في جريان أسرارهم، كلمات لا يعرف معناها سواهم، والباحث فيها يكفيه شرف محاولة التنقيب والبحث في كتبهم، فالاشتغال به هو أفضل ما يتقرب به إلي الله لكونه سببا للمعرفة الخاصة التي هي معرفة العيان.

من هذه المصطلحات: مصطلحا **التلوين والتمكين**، وهما مصطلحان إذا كان لهما علاقة وثيقة بالمعني اللغوي، إلا أن السادة الصوفية اختلفوا في توصيفهما، هل هما من الأحوال؟ أو المقامات؟ أو وصفا يتصف بهما السالك وهو في طريقه إلي الله؟ هذا الوصف يتلخص في أذا كان السالك يتلون ويتبدل بين صفاته البشرية في طلب الصراط المستقيم، فهو صاحب تلوين، أما أذا كان متمكن وثابت ومستقر في استقامته، فهو صاحب تمكين.

الكلمات المفتاحية: التلوين، التمكين، الصوفية، التفسير الإشاري.

"Coloring and Empowerment in Sufism and Their Applications in Allusive Interpretation"

Azza Sayed Azouz Mohamed.
Assistant Professor, Department of Doctrine and Philosophy, Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls, Sohag, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
E- mail: azzamohamed. 3519@azhar. edu.

Abstract:
Sufi terminology is one of the most difficult terms to understand and comprehend, especially if the observer is from outside their circle, due to the multiplicity of its meanings with the multiplicity of its states and stations. It is not known through reason and contemplation, as much as it is understood through taste and revelation. They are expressions and words in the flow of their secrets, words whose meaning is not known to anyone but them. The researcher into them is satisfied with the honor of trying to excavate and search in their books, as engaging in it is the best way to draw closer to God because it is a cause for special knowledge, which is knowledge of sight.
Among these terms are the terms “coloring” and “empowerment. ” These two terms have a close relationship in linguistic meaning, but the Sufi masters differed in their description. Are they states? Stations? Or a description that characterizes the seeker on his path to God? This description can be summarized as follows: If the seeker changes colors and shifts between his human attributes in seeking the straight path, then he is a person of “coloring. ” However, if he is empowered, steadfast, and stable in his righteousness, then he is a person of “empowerment. ”

Keywords: Coloring, Empowerment, Sufism , Allusive interpretation

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول الآخر، الظاهر الباطن، الذي مد ظل التلوين على الخليقة مدا طويلا ثم جعل شمس التمكين لصفوته عليه دليلا، فلله الحمد الذي حقق الحقائق، وأوضح الطرائق، والصلاة والسلام علي سيدنا ومولانا محمد سيد الخلائق، والمخصوص بتواتر المعجزات، وتظاهر الخوارق، ورضي الله تعالي عن أصحابه الأعلام، الذين أظهر الله بهم دينه القويم في أقصي المغارب والمشارق.

ثم أما بعد

فكل طائفة من العلماء مصطلحات فيما بينهم متعارفة، لا يعرف حقيقة مرادها إلا من بلغ فهمهم، وخاض في بحار علمهم، أو شارف أن يفهم قصدهم، لدقة عباراتهم، وغرابة حقائقهم، مصطلحات لا تُعرف من طريق العقل والنظر، بقدر ما تفهم عن طريق الذوق والكشف، فهي عبارات وكلمات في جريان أسرارهم، كلمات لا يعرف معناها سواهم، لذا تعد مصطلحاتهم من أصعب المصطلحات فهما وإدراكا، خاصة إذا كان الناظر إليها من خارج دائرتهم، لتعدد دلالاتها بتعدد أحوالها ومقاماتها، إنها مصطلحات خاصة بالسادة الصوفية أصحاب مقام الإحسان، مقام الشهود والعيان، وعلمهم هو سيد العلوم ورئيسها، ولباب الشريعة وأساسها، والباحث فيه يكفيه شرف محاولة التنقيب والبحث في كتبهم، فالاشتغال به هو أفضل ما يتقرب به إلي الله لكونه سببا للمعرفة الخاصة التي هي معرفة العيان.

ويكاد يتفق الصوفية أن السالك في الطريق إلي الله له أحوال ومقامات لا يزال فيها ينتقل من حال إلي حال ويرتقي من مقام إلي مقام حتي ينتهي به إلي التوحيد التام، فإذا وصل فقد سعد، يقول ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في مقدمته: " ولا يزال المريد يترقى فيها

من مقام إلي مقام إلي أن ينتهي إلي التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة "[1]وفي خلال هذا الطريق يتلون السالك في أحواله ويتبدل بين صفاته البشرية في طلب الصراط المستقيم وهؤلاء هم أرباب التلوين، إلي أن يمكنهم الله ويثبتهم فهؤلاء أرباب التمكين فإنهم مستقرون علي استقامتهم.

يقول عبد القادر بن أحمد الكوهني الهندي الصوفي(ت:؟) في تجريده[2]عن ابن عجيبة(ت ١٢٢٤هـ): " وأقسام الإعراب أربعة: رفع ونصب وخفض وجزم، وأحوال التغير الذي يعتري الإنسان وينزل به أربعة:

رفع –أي رفع القدر والعز والجاه عند الله تعالي، وعامله: العلم بالله والعمل بطاعته، وصحبة أهل العز والفناء، وهم الأولياء –رضي الله عنهم تعالي–.

وضده: **الخفض** وهو الذل والهوان، وعامله: الجهل وارتكاب المعاصي، وإتباع الهوي.

والنصب– نصب النفس لمجاري الأقدار، وهو مقام الرضا والتسليم، وهو حال أهل الطمأنينة من العارفين الواصلين.

والجزم– هو التصميم والعزم علي السير والمجاهدة والمكابدة إلي الوصول إلي تمام المشاهدة.

فأهل الرفع والنصب: عارفون واصلون، وأهل الخفض تالفون تائهون، وأهل الجزم: سائرون.

---

(١) ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (٧٣٢– ٨٠٨هـ) مقدمة ابن خلدون – حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه / عبد الله محمد الدرويش – ج٢ ص ٢٢٥– دار البلخي بدمشق للنشر – الطبعة الأولي ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م.

(٢) شرح الشيخ الشريف أبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني المتوفى سنة ١٢٢٤ هـ وهو شرح ممزوج نحوي وصوفي، وقد قام بتجريده الشيخ عبد القادر بن أحمد الكُوهني، الهندي الصوفي، جرده من كلام ابن عجيبة في النحو وأبقى كلامه في التصوف والموسوم ب "منية الفقير المتجرد وسيرة المريد المتفرد في تجريد شرح الآجرومية علي لسان أهل التصوف "

وقد يتلون العبد بين الرفع والخفض، فتارة يغلب نفسه فيرتفع، وتارة تغلب عليه نفسه فينخفض، وهؤلاء أهل **التلوين** قبل **التمكين**، وقد يكون **التلوين** بعد **التمكين** وهو تلون العارف مع المقامات، فيتلون في كل مقام بلون، فتارة يظهر عليه الهيبة والخوف، وتارة يظهر عليه الرجاء والبسط، وتارة يظهر عليه الورع و الكف، وتارة يظهر عليه الرغبة والأخذ، وتارة يظهر عليه الشوق والقلق، وتارة يظهر عليه السكون والطمأنينة... "[1]

وموضوع بحثي هذا يتصل بهذين المصطلحين "**التلوين والتمكين** " فهما من المصطلحات التي لها علاقة وثيقة بالمعني اللغوي، كما أنهما من المصطلحات المتقابلة عند السادة الصوفية، والمعني بها تقريب معاني بعض المصطلحات التي تفهم بأضدادها، أي أن الفهم التام لأحد المصطلحين يؤدي إلي فهم المصطلح المقابل له، وأنه حيثما ذكر أحد المصطلحين فلابد من ذكر الآخر.

وحتي لا تكون دراستي للمصطلح الصوفي تقف عند حدود الدراسة النظرية فقط، فقد قمت بتدعيمها وتعميقها بدراسة تطبيقية من خلال كتب التفسير الإشاري الخاص بالسادة الصوفية، من ثم وبعد الاستعانة بالله اخترت عنوانا لهذا البحث بعنوان:

"التلوين والتمكين عند الصوفية وتطبيقاتهما في التفسير الإشاري"

أسباب الاختيار:

١- التأكيد علي أن هناك علاقة وثيقة بين المعني اللغوي والمعني الاصطلاحي لبعض من المصطلحات الصوفية والتي منها التلوين والتمكين.

٢- يرتكز السادة الصوفية في ذكرهم للإشارات والأذواق على أن القرآن الكريم فيه أسرار لا تتناهى، ومعان لا تحد، وإشارات وراء الظاهر، يفتح الله بها على مَن يشاء من عباده في تفسيرهم الإشاري، فكما أن صفات الله لا تتناهى، فكذلك

(١) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري(ت ٤٦٥هـ)- نحو القلوب الصغير والكبير – تحقيق/ أحمد علم الدين الجندي – الهيئة المصرية العامة للكتاب –طبعة ٢٠٠٨م –ص ١٤٢-١٤٤.

مفاهيم كلماته لا تتناهى، وهذا لإثبات أن كلماته تعالي لا تنفد، وهذا كاف في إعجازه.

٣- إثبات أن التفسير الإشاري للقرآن الكريم يتضمن كنوزًا معرفية تمثل نتاجا زاخرًا من العلم اللدني وأنه لا يتنافى مع مقتضي اللغة ومع ظاهر النظم القرآني، هذا بخلاف التفسير الباطني الفاسد الذي يصرف الآية عن معناها المنقول أو المعقول إلى ما يوافق بغيته، بدعوى أن هذا هو مراد الله دون ما سواه.

الدراسات السابقة

من خلال تتبعي للدراسات السابقة للتلوين والتمكين، لم أقف إلا علي دراسة واحدة فقط بعنوان: (المصطلحات الصوفية "التلوين والتمكين أنموذجا") للباحث/ عبدالرحيم العوامي (جامعة ابن طفيل بالقنيطرة –المملكة المغربية) – بحث منشور في مجلة العرفان للدراسات الصوفية عام ٢٠٢٠م.

عدد صفحات البحث ست عشرة صفحة، يتكون من خمس مباحث كالتالي: –

المبحث الأول: مفهوم التلوين والتمكين في اللغة والقرآن الكريم.

المبحث الثاني: مصطلح التلوين عند الصوفية.

المبحث الثالث: مصطلح التمكين عند الصوفية.

المبحث الرابع: الفرق بين التلوين والتمكين والمقارنة بينهما.

المبحث الخامس: أشعار في مدح أرباب التلوين والتمكين.

والملاحظ علي هذا البحث أن الباحث جل اهتمامه الجانب النظري الخاص بتعريف المصطلحين بصورة تكاد تكون موجزة، دون الوقوف علي الجانب التطبيقي لهذين المصطلحين في التفسير الإشاري، هذا بجانب أن دراستي لم تقف علي الأشعار الواردة في مدح أرباب التلوين والتمكين كما ذكرها الباحث في دراسته.

إشكالية الدراسة

١- هل التلوين والتمكين مصطلحان يندرجان تحت الأحوال والمقامات أم أنهما وصفان ينطبقان علي كل الأحوال والمقامات؟.

٢- هل هناك فرق بين المقام والتمكين خاصة وإذا كانا يتفقان في الثبات والرسوخ؟

٣- قد يكون التلوين قبل التمكين، فهل يكون هناك تلوين بعد التمكين؟

٤- كيف وظف السادة الصوفية التلوين والتمكين علي بعض آيات القرآن الكريم؟

قد اعتمدت في دراستي لهذا البحث علي عدة مناهج منها: -

المنهج الوثائقي: وذلك من خلال نقل النصوص الخاصة ببحثي وتوثيقها بالصفحة.

المنهج التحليلي: وذلك من خلال الوقوف علي النصوص المنقولة" بتحليلها، والوقوف عليها بالعرض والشرح.

المنهج الاستقرائي: ويتضح ذلك من خلال تتبعي لأكبر عدد من المراجع والمصادر التي لها صلة بمصطلحي التلوين والتمكين.

المنهج المقارن: وذلك من خلال مقارنة التعريفات الواردة للتلوين والتمكين وذكر الفروق بينهما، أو في الجانب التطبيقي لهذين المصطلحين كما وردا في التفسير الإشاري.

هذا بجانب أن هناك أسسا تعتمد عليها دراستي وهي كالتالي:

١- التزمت الأمانة العلمية فيما نقلت من نصوص، فحين أنقل النص من المراجع أو المصادر دون إضافة أو حذف فإني أضعه بين علامتي تنصيص هكذا" "أما إذا تصرفت في النص بإضافة أو حذف فأصدر المرجع أو المصدر بكلمة "انظر".

٢- اقتصرت علي ذكر سنة الوفاة لأعلام التصوف في البحث.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في:

مقدمة، تمهيد، مبحثين، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع، ثم فهرس للموضوعات

أما المقدمة: فذكرت فيها نبذة عن أهمية الموضوع وسبب اختياري له والدراسات السابقة عليه، وذكر إشكالية البحث والمنهج المتبع فيه، مع ذكر الأسس التي اعتمدت عليها في دراستي ثم ذكر خطة البحث.

أما التمهيد: ويشمل الآتي:

أولا: التعريف بالتفسير الإشاري

ثانيا: التعريف بالحال والمقام

المبحث الأول: **التعريف بالتلوين والتمكين عند الصوفية**

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للتلوين

المطلب الثاني: التعريف اللغوي والاصطلاحي للتمكين

المطلب الثالث: المقارنة بين التلوين والتمكين

المطلب الرابع: المحاضرة والمشاهدة وعلاقتهما بالتلوين والتمكين

المطلب الخامس: التلوين والتمكين عند ابن عربي (ت ٦٣٨هـ)

المطلب السادس: الفرق والجمع وعلاقتهما بالتلوين والتمكين

المطلب السابع: الصحو والسكر وعلاقتهما بالتلوين والتمكين

المبحث الثاني: **الجانب التطبيقي للتلوين والتمكين في التفسير الإشاري**

المطلب الأول: اختصاص سيدنا محمد(ﷺ) بمقام التمكين

المطلب الثاني: التلوين والتمكين بين سيدنا موسي وسيدنا محمد عليهما السلام

المطلب الثالث: سيدنا موسي (عليه السلام) بين التلوين والتمكين

المطلب الرابع: حال النسوة وامرأة العزيز من سيدنا يوسف (عليه السلام)بين التلوين والتمكين

المطلب الخامس: النفس الإنسانية بين التلوين والتمكين

المطلب السادس: الشمس والقمر وحالهما بين التلوين والتمكين

المطلب السابع: سفينة سيدنا نوح (عليه السلام) بين التلوين والتمكين

المطلب الثامن: بعض آيات الحج بين التلوين والتمكين

أما الخاتمة: فقد ذكرت فيها أهم نتائج البحث وبعض التوصيات.

وبعد: هذا هو بحثي بذلت فيه جهدي بقدر ما استطعت إلي ذلك سبيلا، أسأل الله التوفيق والسداد أنه قريب يجيب المضطر إذا دعاه.

تمهيد

أولا: التعريف بالتفسير الإشاري

يعد التفسير الصوفي الإشاري أحد مناهج التفسير القرآني المندرجة تحت منهج التفسير بالرأي المحمود في مقابل كل من التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المذموم، وكذلك هو مقابل للتفسير الصوفي النظري المبني علي نظريات عقلية لا تخضع لضوابط التفسير الإشاري الفيضي[١] وقبل التعريف به أقول:

التفسير الإشاري يتكون من كلمتين ولا بد من توضيح كل كلمة علي حدة

التفسير لغة: وهو بيان وتفصيل للكِتاب، وفَسَره يفسِره فسرا، وفسره تفسيرا[٢].

و الفسر: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل... و استفسرته كذا أي سألته أن يفسره لي [٣]

(١) مجموعة من المؤلفين تحت إشراف د /محمود حمدي زقزوق – موسوعة التصوف الإسلامي – الموسوعة الثامنة من سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة – الصادرة من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لسنة ٢٠٠٩م– ص١٤٥.

(٢) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)– كتاب العين– المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي –الناشر: دار ومكتبة الهلال – ج٧ ص ٢٤٧.

(٣) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)– لسان العرب – دار صادر بيروت للنشر – الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ– ج٥ ص ٥٥.

أما الإشاري لغة: فمن أشار الرجل يشير إشارة، إذا أومي بيديه، وأشار يشير، إذا ما وجه الرأي ويقال فلان جيد المشورة [١]

والكلام بشيء والإشارة بشيء آخر أسلوب تعرفه العرب وتتكلم به وتشير به إلي شيء أخر كما في حديث الحديبية والمغيرة "وهل غسلت سوأتك إلا أمس؟ "[٢] قال ابن منظور(ت٧١١هـ): "وهذا القول إشارة إلي غدر كان المغيرة فعله مع قوم صحبوه في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم"[٣].

أما التفسير الإشاري اصطلاحا

فقد عرف بتعريفات متعددة كلها تصب في معني واحد منها:

"تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا"[٤]

ومنها: " هو تأويل القرآن علي خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطة

---

(١) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)- تهذيب اللغة- المحقق: محمد عوض مرعب -الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى، ٢٠٠١م ج١١ ص ٢٧٧.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل- المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة -الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م ج٣١- ص ٢١٥- باب حديث المسور بن مخرمة الزهري، ومروان بن الحكم – ح رقم ١٨٩١٠.

(٣) ابن منظور- لسان العرب – ج١ ص ٩٨"مرجع سابق"

(٤) محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)-مناهل العرفان في علوم القرآن -الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- الطبعة الثالثة ج٢ ص ٧٨.

الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة"(١)

وذكر الإمام السيوطي(ت٩١١هـ)في الاتقان: " وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان"(٢)

ولكي يكون التفسير الإشاري مقبولا، فقد اشترط العلماء أربعة شروط لقبوله:

أولها: عدم منافاته لمقتضى اللغة ولظاهر النظم القرآني الكريم.

وثانيها: أن يكون له شاهد شرعي يؤيده من الكتاب أو السنّة أو سائر الأصول المعتمدة.

وثالثها: ألّا يكون له معارض شرعي قطعي.

ورابعها: ألّا يدعى أن هذا التفسير الإشاري هو وحده المراد دون الظاهر، بل لا بد من إقرار التفسير العبارى الظاهر أولا ثم الأخذ بالمعنى الإشاري(٣)

---

(١) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) تفسير الماتريدي –تأويلات أهل السنة– المحقق: د. مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان –الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ج١ ص٢٨١، محمد علي الصابوني – التبيان في علوم القرآن – دار إحسان بتهران للنشر والتوزيع – الطبعة الثالثة ١٣٩٠هـ –ص١٧١.

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)– الإتقان في علوم القرآن – المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم –الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب –الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م ج٤ ص ٢٢٤.

(٣) انظر: أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)البحر المديد في تفسير القرآن المجيد –المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان =

من خلال هذه الشروط المعتمدة نستطيع أن نقول: إن السادة الصوفية يعتقدون أن للقرآن ظاهرا وباطنا، ولا فهم لباطن النص إلا إذا أتم الصوفي المعني الظاهر منه، فالمعني الظاهر هو بداية للوصول إلي الباطن مع الوضع في الاعتبار أنه لا يفهم المعني الإشاري إلا من اختصه الله به.

يقول ابن عطاء الله السكندري(ت ٧٠٩ هـ) واصفا التفسير الصوفي: "ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت له الآية ودلت عليه في عرف اللسان وثم أحكام باطنة تفهم عن الآية والحديث لمن فتح الله قلبه" (١)

من ثم فالنصوص القرآنية عند السادة الصوفية علي ظاهرها ولكنها في الوقت ذاته تحوي إشارات خفية إلي دقائق تتكشف علي أرباب السلوك.

وهناك من زاد شرطا خامسًا: ألا يكون فيه تشويه على أفهام الناس.

–الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة الطبعة: ١٤١٩ هـ ص١٨، الزرقاني –مناهل العرفان ج٢ ص٨١"مرجع سابق"، نور الدين محمد عتر الحلبي –علوم القرآن الكريم الناشر: مطبعة الصباح – دمشق –الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م ص ٩٨–٩٩، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي – اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر– الناشر: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم ٩٥١/ ٥ وتاريخ ١٤٠٦/٨/٥–الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ– ١٩٨٦م ج١ ص ٣٧٤.

(١) ابن عطاء الله السكندري– لطائف المنن– تحقيق وتعليق الإمام الدكتور/ عبد الحليم محمود – الطبعة الثالثة – دار المعارف بالقاهرة للنشر–ص ١٣٧، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ)– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون –مكتبة المثنى – بغداد للنشر ١٩٤١م –ج١ ص٤٢٧.

وبدون هذه الشروط لا يقبل التفسير الإشاري، ويكون عند ذلك من قبيل التفسير بالهوى والرأي(١)

وهذه الشروط اعتمدت حتي لا يتم الخلط واللبس بين التأويل الباطني الفاسد وبين التفسير الإشاري، وقد نبه علي ذلك المحققون بقولهم: " إن(أصحاب الإشارات) غير من يسمونهم(الباطنية) فالباطنية يصرفون الآية عن معناها المنقول أو المعقول إلى ما يوافق بغيتهم، بدعوى أن هذا هو مراد الله دون ما سواه. وأما أصحاب الإشارات؛ فإنهم كما قال أبو بكر بن العربي في كتابه(العواصم والقواصم) جاءوا بألفاظ الشريعة من بابها، وأقروها على نصابها.. لكنهم زعموا أن وراءها معاني غامضة خفية وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ، فعبروا إليها بالفكر، واعتبروا منها في سبيل الذكر، فأصحاب الإشارات لا ينفون– كما ينفي الباطنية وأذنابهم– المعنى الذي يدل عليه اللفظ العربي من نحو الأحكام، والقصص، والمعجزات.. وإنما يقولون: إنهم يستفيدون من وراء تلك المعاني، وعلى طريق الاعتبار، معاني فيها موعظة وذكرى"(٢)

(١) انظر: تفسير الماتريدي – تأويلات أهل السنة –ج٢ص ٢٨٣ "مرجع سابق"، الزرقاني– مناهل العرفان ج٢ ص ٨١""مرجع سابق"، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)– التفسير والمفسرون –الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة ج٢ ص ٢٧٩، شايع بن عبده بن شايع الأسمري –مع الامام أبي إسحاق الشاطبي في مباحث من علوم القرآن الكريم وتفسيره –الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة–الطبعة: العدد ٣٤ ص ١١٥– سنة ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م ص ٥٦.

(٢) محمد سالم أبو عاصي –علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات –الناشر: دار البصائر – القاهرة–الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ص ٩٠، عدنان محمد زرزور–مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه –الناشر: دار القلم / دار الشامية – دمشق / بيروت –الطبعة الثانية ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ص ٢٢٠.

وبهذا يتضح أن هناك فرقا كبيرًا جدا بين مذهب السادة الصوفية الراشدين، في فهم إشارات القرآن، وبين ما يقول الباطنية، فالباطنية ومن والاهم يجعلون المراد من النص ليس لفظه الظاهر بمعناه القريب، ولكنهم يعتقدون أن المراد بالذات من النص إنما هو الإشارة التي ينطوي عليها النص، وبذلك تأولوا القرآن، واستخرجوا لأنفسهم أحكاما وعقائد ليست من الإسلام في شيء على الإطلاق(١)

أشهر المصنفات في التفسير الصوفي الإشاري: لقد تنوعت المصادر التفسيرية عامة إزاء موقفها من التفسير الإشاري وتفاوت حظها من التعرض له علي هذا النحو:

فئمة قسم اقتصر علي التفسير الظاهر ولم يتعرض للتفسير الإشاري كتفسير البسيط للواحدي ت ٤٦٨هـ، والكشاف للزمخشري ت ٥٣٨هـ.

وقسم غلب عليه التفسير الظاهر لكنه تعرض بقدر للتفسير الإشاري كما نراه في تفسير الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) والقرطبي (ت ٦٧١هـ) والألوسي (ت١٢٧٠هـ)

وقسم ثالث تضمن التفسير الظاهر والإشاري في توازن وتكامل كتفسير البيان للشيخ إسماعيل حقي (ت ١١٣٧هـ) والبحر المديد لابن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ).

وقسم رابع غلب عليه التفسير الإشاري مع تضمنه لحظ قليل من التفسير الظاهر كتفسير الإمام سهل بن عبدالله التستري (ت ٢٧٣هـ) وتفسير الشيخ ملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ) وتفسير الإمام القشيري (ت ٤٦٥هـ).

وقسم خامس توفر بعنايته كليا للتفسير **الإشاري** مثل حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي (ت٤١٢هـ) وعرائس البيان في حقائق القرآن لأبي نصر البقلي الشيرازي (ت ٦٠٦هـ) و تفسير الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨هـ) الذي اعتده صاحب(التفسير والمفسرون) في عداد التفسير الصوفي النظري والإشاري برغم قيامه على نظرية (وحدة الوجود)التي تبرأ منها الشيخ محيي الدين –بمعناها المفهوم السائد –

(١) انظر: ابن عجيبة – البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ص ٣٧"مرجع سابق "

وصرح بأن (الرب رب والعبد عبد) فهو في الحقيقة تفسير إشاري خلا ما دس عليه فيه كما صرح الإمام الشعراني ت٩٧٣هـ [١]

ثانيا: التعريف بالحال والمقام

هناك من عد التلوين والتمكين من المقامات كابن عربي(ت٦٣٨هـ)[٢]، والجرجاني(ت٨١٦هـ)[٣]، وأحمد النقشبندي الخالدي(ت١٣١١هـ)[٤]، هناك من عدهما وصفان يشيران إلي حالين في محلين كعز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي (ت ٦٧٨هـ)[٥]والمعني بهما انتقال من حال إلي حال ومن وصف إلي وصف والترقي

(١) انظر: مجموعة من العلماء تحت إشراف وتقديم د / محمود حمدي زقزوق- موسوعة التصوف الإسلامي – الموسوعة الثامنة من سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة – الصادرة من المجلس الأعلي للشئون الإسلامية لسنة ٢٠٠٩م ص ١٥٦-١٥٧.

(٢) محي الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي المعروف بابن عربي ت ٦٣٨هـ – الفتوحات المكية – ضبطه وصححه ووضع فهارسه /أحمد شمس الدين – دار الكتب العلمية ببيروت للنشر- الطبعة الأولي ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م –الجزء الثالث –ص١٩٥، د/سعاد الحكيم (استاذ التصوف في الجامعة اللبنانية) –المعجم الصوفي- الحكمة في حدود الكلمة –الطبعة الأولي ١٤٠١هـ-١٩٨١م –المؤسسة الجامعية ببيروت للنشر ص١٠٠٦.

(٣) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)- كتاب التعريفات –المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر –الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان –الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م ص ٦٥.

(٤) أحمد النقشبندي – جامع الأصول في الأولياء (٢-الطرق الصوفية) – تحقيق/ اديب نصر الله – مؤسسة الانتشار العربي ببيروت للنشر – الطبعة الأولي ١٩٩٧م ص ٢٨٠.

(٥) عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي(ت ٦٧٨هـ)- حل الرموز ومفاتيح الكنوز (في شرح بعض المصطلحات والمفاهيم الصوفية المبهمة- تحقيق/د محمد بو خنيفي – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولي ٢٠١١م –١٤٣٢هـ ص ١٠٧.

من مقام إلي مقام وهذا كله وصف، وهناك كالإمام الهجويري(ت ٤٦٥هـ)[١]ذكر أن التلوين والتمكين من عبارات هذه الطائفة (أي طائفة الصوفية) وهي مثل الحال والمقام وهي قريبة من بعضها البعض في المعني، والإمام السهرودي (ت٦٣٢هـ) أوردهما في عوارف المعارف تحت باب بعنوان "في شرح كلمات مشيرة إلي بعض الأحوال في اصطلاح الصوفية"[٢].

وهناك من عدهما أنهما من العبارات الدقيقة التي اصطلح القوم علي استعمالها فينبغي الوقوف علي معانيها كالإمام الطوسي (ت ٣٧٨هـ) في اللمع[٣]، والإمام القشيري(ت ٤٦٥هـ)في الرسالة القشيرية[٤]، وابن عجيبة(ت ١٢٢٤هـ) في معراج التشوف[٥]، ونتيجة لهذا كان لابد من التعريف بالحال والمقام قبل الدخول إلي التلوين والتمكين، لنري هل يندرجا تحتهما؟ أم أنهما من الألفاظ الدقيقة للصوفية القريبة في المعني منهما، أم أنهما وصفان فقط ولا علاقة لهما بهما.

---

(١) أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري- كشف المحجوب -ج٢ -تحقيق /إسعاد عبد الهادي قنديل – المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة للنشر -إصدارات المشروع القومي للترجمة ٢٠٠٧م ص ٦١٧.

(٢) شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي ت ٦٣٢هـ- عوارف المعارف- ج٢ تحقيق / د عبدالحليم محمود، د محمود بن محمد الشريف – دار المعارف بالقاهرة للنشر ص ٣١٥.

(٣) أبو نصر السراج الطوسي ت ٣٧٨هـ – اللمع – حققه قدم له وأخرج أحاديثه/ د عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور – لجنة نشر التراث الصوفي – دار الكتب الحديثة بمصر للطبع النشر – طبعة ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م ص ٤٤٣.

(٤) أبو القاسم القشيري ت ٤٦٥هـ – الرسالة القشيرية -تحقيق د/ عبد الحليم محمود، د محمود بن الشريف- دار المعارف بالقاهرة للنشر ص ١٨٩.

(٥) عبد الله أحمد بن عجيبة ت ١٢٢٤هـ- معراج التشوف إلي حقائق التصوف ويليه كتاب كشف النقاب عن سر لب الألباب- تقديم تعليق/د عبد المجيد خيالي – مركز التراث الثقافي المغربي – بالدار البيضاء ص ٧٠.

التعريف بالحال في اللغة:

الحال: من الحول وأصله تغير الشيء وانفصاله عن غيره، وباعتبار التغير قيل: حال الشيء يحول حؤولا، واستحال: تهيأ لأن يحول، وباعتبار الانفصال قيل: حال بيني وبينك كذا، وقوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾[الأنفال: ٢٤]، فإشارة إلى ما قيل في وصفه: (يا مقلب القلوب والأبصار)[١][٢]

وعرفه الجرجاني(ت ٨١٦هـ) بأنه في اللغة: "نهاية الماضي وبداية المستقبل، وفي الاصطلاح: ما يبين هيئة الفاعل أو المفعول به لفظًا، نحو: ضربت زيدًا قائمًا، أو معنى، نحو: زيد في الدار قائمًا، والحال عند أهل الحق: معنى يرد على القلب من غير تصنع، ولا اجتلاب، ولا اكتساب... "[٣]

التعريف بالمقام لغة:

وَأَمَّا المَقامُ والمُقامُ فَقَدْ يَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَعْنَى الإِقامة، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى مَوْضِعِ القِيام... وَقَوْلُهُ تَعَالَى: لَا مَقَامَ لَكُمْ، أَيْ لَا مَوْضِعَ لَكُمْ، وقُرِئَ لَا مُقامَ لَكُمْ، بِالضَّمِّ، أَيْ لَا إِقَامَةَ لَكُمْ. وحَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً أَي مَوْضِعًا.

وَقَوْلُ لَبِيدٍ: عَفَتِ الدِّيارُ: مَحلُّها فَمُقامُها... بِمنىً، تأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجامُها

يَعْنِي الإِقامة[٤].

والمقام ورد أيضا في الكتاب والسنة كاصطلاح يعني أمرين:

---

(١) هذا حديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن أنس قال: كان النبي –صلي الله عليه وسلم–يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك. (مسند الإمام أحمد بن حنبل –مؤسسة الرسالة "مرجع سابق"– ج١٩– ص ١٦٠ –ح ١٢١٠٧– إسناده قوي علي شرط مسلم)

(٢))انظر: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن –المحقق: صفوان عدنان الداودي–الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت –الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ ج١ ص٢٦٦.

(٣) الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)– كتاب التعريفات "مرجع سابق "ص ٨١.

(٤) انظر: ابن منظور– لسان العرب "مرجع سابق " ج١٢ ص ٤٩٨

المكان الذي وقف عليه إبراهيم (عليه السلام) لبناء البيت، وظهر فيه أثر الأقدام حتي الآن، وهو المشار إليه في قوله تعالي: ﴿ **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾ (البقرة: ١٢٥) **الدرجة المكانية** التي يبلغها النبي في أرض المحشر يوم القيامة وهي الشفاعة العظمي، فعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله (ﷺ)قال: " من قال حين يسمع النداء، اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة"[١]

التعريف بالحال والمقام في اصطلاح السادة الصوفية

يتحدث الصوفية عن شيء اسمه " "حال" وعن شيء اسمه "مقام" ويعتبرون الحال هو مقدمة للمقام، أول ما يبدأ الإنسان يشتغل بالذكر، يصل إلي طمأنينة مؤقتة للقلب لا تلبث أن تزول، فهذا حال، فإذا تابع الإنسان الذكر وصل إلي طمأنينة دائمة للقلب، فهذا مقام... "[٢] توضيح ذلك.

الحال في اصطلاح الصوفية باق علي المعني اللغوي السابق، فهو ما يحل بالقلوب، أو تحل به القلوب، من صفاء الأذكار. وقد حكي عن الجنيد، رحمه الله: أنه قال: الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم.. [٣]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري- المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر -الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)-الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ج١ ص ١٢٦- باب الدعاء عند النداء -ح٦١٤)

(٢) سعيد حوي- تربيتنا الروحية – ص١٩١، دار السلام -الطبعة السادسة ١٤١٩هـ.

(٣) انظر: الطوسي- اللمع "مرجع سابق" ص ٦٦، عبد الرازق الكاشاني (ت ٧٣٠هـ) -معجم اصطلاحات الصوفية – تحقيق وتقديم وتعليق د /عبد العال شاهين – دار المنار بالقاهرة للطبع – الطبعة الأولي – ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م -ص ٨١.

فهو كما ذكر القشيري أن الحال عند القوم: معني يرد علي القلب، من غير تعمد منهم، ولا اجتلاب، ولا اكتساب لهم، من طرب، أو حزن، أو بسط، أو قبض، أو شوق، أو انزعاج أو هيبة، أو احتياج.

فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب.

والأحوال تأتي من عين الجواد، والمقامات تحصيل ببذل المجهود.

وصاحب المقام ممكن في مقامه، وصاحب الحال مترق عن حاله.

وسئل ذو النون المصري (ت ٨٥٩هـ)، عن العارف، فقال: كان هاهنا، فذهب.

وقال بعض المشايخ: الأحول كالبروق: فإن بقي فحديث نفس.

وقالوا: الأحوال كاسمها، يعني أنها: كما تحل بالقلب تزول في الوقت. وأنشدوا:

لو لم تحل ما سميت حالا وكل ما حال فقد زالا [١]

والمشايخ –رضي الله عنهم مختلفون هنا، ففريق يجيزون دوام الحال، وفريق لا يجيزونه.

والحارث المحاسبي (ت٢٤٣هـ) يجيز دوام الحال، ويقول: "إن المحبة والشوق والقبض والبسط كلها أحوال، فإذا كان دوامها غير جائز فلا المحب محب، ولا المشتاق مشتاق، وما لم يصر هذا الحال صفة للعبد فلا يقع عليه اسمه، ولذا فهو يقول: إن الرضا من جملة الأحوال، والإشارة إلي ذلك ما قاله أبو عثمان الحيري (ت ٢٩٨هـ): منذ أربعين سنة ما أقامني الحق علي حال فكرهته"[٢]

(١) القشيري –الرسالة القشيرية "مرجع سابق "ص ١٥٤.

(٢) الهجويري–كشف المحجوب "مرجع سابق"ج٢ ص ٤٠٩، القشيري– الرسالة القشيرية "مرجع سابق "ص ١٥٤

فالواجب في هذا أن يقال: إن من أشار إلي بقاء الأحوال فصحيح ما قال، فقد يصير المعني شربا[١](أي حظا ومقاما) لأحد فيربي فيه.

ولكن لصاحب هذه الحال أحوال: هي طوارق[٢]لا تدوم فوق أحواله التي صارت شرابا له، فإذا دامت هذه الطوارق له، كما دامت الأحوال المتقدمة، ارتقي إلي أحوال أخر، فوق هذه وألطف من هذه، فأبدًا يكون في الترقي[٣]

وجماعة أخري لا يجيزون بقاء الحال ودوامه، كقول الجنيد رضي الله عنه: " الأحوال كالبروق فإن بقيت فحديث نفس"[٤]وقالت جماعة في هذا المعني: "الأحوال كاسمها، يعني أنها كما تحل بالقلب تزول في الوقت" أي أنها في حال الحلول تتصل بالقلب، وتزول في ثاني الحال... "[٥]

التعريف بالمقام في اصطلاح السادة الصوفية

أما المقام: فهو ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف، فمقام كل أحد، موضع إقامته عند ذلك، وما

---

(١) الذوق و الشرب والري، فالذوق: إيمان، والشرب: علم، والري: حال، فالذوق لأرباب البوادة، والشرب لأرباب الطوالع واللوائح واللوامع، والري لأرباب الأحوال، وذلك أن الأحوال هي التي تستقر إ فما لم يستقر فليس بحال وإنما هي لوامع وطوالع، وقيل: الحال لا تستقر لأنها تحول، فإذا استقرت تكون مقاما (السهرودي– عوارف المعارف "مرجع سابق "ص ٣٢١)

(٢) الطوارق: ما يطرق قلوب أهل الحقائق من السمع فيجدد لهم حقائقهم، وحكي عن المشايخ أنه قال: يطرق سمعي علم من أهل الحقائق فلا أدع أن يدخل قلبي إلا أن أعرضها علي الكتاب والسنة (الطوسي –اللمع "مرجع سابق "ص٤٢٢) وقيل: إن الطوارق واللوامع واللوائح وغيرها: ألفاظ متقاربة المعني، والمقصود أن هذه الأسماء كلها مبادئ الحال ومقدماته، وإذا صح الحال استوعب هذه الأسماء كلها ومعانيها (السهروردي –عوارف المعارف "مرجع سابق "ص ٣٢١– ٣٢٢)

(٣) انظر: القشيري – الرسالة القشيرية " مرجع سابق "ص ١٥٤.

(٤) الهجويري – كشف المحجوب "مرجع سابق" ج٢ ص ٤١٠

(٥) الهجويري – كشف المحجوب "مرجع سابق" ج٢ ص ٤١٠.

هو مشتغل بالرياضة له وشرطه: أن لا يرتقي من مقام إلي مقام آخر، مالم يستوف أحكام ذلك المقام فإن من لا قناعة له لا تصح له الإنابة ومن لا ورع له لا يصح له الزهد(١).

ويذكر الكاشاني (المتوفي تقريبا ٧٣٠هـ) أن المقام: "هو استيفاء حقوق المراسم، فإنه من لم يستوف حقوق ما فيه من المنازل لم يصح له الترقي إلي ما فوقه، كما أن من لم يتحقق بالقناعة حتي يكون له ملكة لم يصح له التوكل، ومن لم يتحقق بحقوق التوكل لم يصح له التسليم، وهلم جرا في جميعها، وليس المراد من هذا الاستيفاء أن لم يبق عليه(بقية من) درجات المقام السافل حتي يمكن له الترقي إلي العالي، فإن أكثر بقايا السافل ودرجاته الرفيعة إنما يستدرك في العالي، بل المراد تملكه علي المقام بالتثبت فيه بحيث لا يحول فيكون حالا وصدق اسمه عليه بحصول معناه، بأن يسمي قانعا ومتوكلا وكذا في الجميع، فإنه إنما سمي مقاما لإقامة السالك فيه"(٢)

والملاحظ هنا أن الصوفية يفرقون بين الأحوال والمقامات: فيرون أن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب، ومعني ذلك أن كل ما يرد علي القلب من غير اكتساب هو من الأحوال، كالفرح، والحزن، والسرور، وغيرها وتأتي من غير تكلف تصديقا **لقوله تعالي**: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** ﴾(الانفال: ٢٤) أي يلقي في قلب المرء ما يحجزه عن مراده ويغير سبحانه وتعالي عليه نيته، وحظوظ نفسه وهواها.

أما المقامات فيصل إليها السالك بالصبر والمجاهدة، بل بالجوع والزهد، والورع والقناعة، والرضا والتوكل وإسقاط التدبير وغيرها(٣).

وهذا يعني أن الأحوال معاني ترد علي القلب دون كسب ولا تعمد من السالك، بل هي مواهب من عند الله، أما المقامات فهي مكاسب للعبد يصل إليها بالمجاهدة والتعمد.

---

(١) انظر: القشيري –الرسالة القشيرية "مرجع سابق" ص ١٥٣، أبو نصر الطوسي– اللمع في التصوف "مرجع سابق" ص ٦٥، الكاشاني –معجم اصطلاحات الصوفية "مرجع سابق "ص ٨١.

(٢) الكاشاني – معجم اصطلاحات الصوفية "مرجع سابق "ص ١٠٧–١٠٨.

(٣) حسن الشرقاوي – معجم ألفاظ الصوفية – مؤسسة مختار بالقاهرة للنشر– الطبعة الثانية ١٩٩٢م ص ١١٥.

المبحث الأول: التعريف بالتلوين والتمكين عند الصوفية

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للتلوين

أولا: التعريف اللغوي للتلوين

لوَّنَ يلوّن، تلوينًا، فهو ملوّن، والمفعول مُلوَّن

لوَّن الرُّطَبُ/ لوَّن الثَّمرُ: ظهر فيه اللَّونُ، بدا فيه أثر النّضج "لوَّن التفاحُ" ° لوَّن الشَّيبُ فيه: بدا فيه ووضح.

لوَّن الصورةَ: جعلها ذات لَوْن أو ألوان "لوَّن القماشَ/ الرَّسمَ- أقلام التلوين: أقلام مختلفة الألوان يستعملها الرسامون والتلاميذ"? لوَّن أفكارَه: غيَّرها، لم يثبت عليها، لوَّن الشّعرَ: غيّر لونَه بالحنّاء وغيره(١).

وقال ابن منظور(ت ٧١١ه): "لون: اللَّوْنُ: هيئةٌ كالسَّوَاد والحُمْرة، ولَوَّنْتُه فتَلَوَّنَ. ولَوْنُ كلِّ شَيْءٍ: مَا فَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَالْجَمْعُ أَلْوَان، وَقَدْ تَلَوَّنَ ولَوَّنَ ولَوَّنه. والأَلْوانُ: الضُّروبُ. واللَّوْنُ: النَّوْعُ. وَفُلَانٌ مُتَلَوِّنٌ إِذَا كَانَ لَا يَثْبُتُ عَلَى خُلُقٍ وَاحِدٍ"(٢)

وجاء في مختار الصحاح "(اللَّوْن) هَيْئَةٌ كَالسَّوَادِ وَالْحُمْرَةِ. وَفُلَانٌ (مُتَلَوِّنٌ) أَيْ لَا يَثْبُتُ عَلَى خُلُقٍ وَاحِدٍ. وَ(لَوَّنَ) الْبُسْرُ (تَلْوِينًا) إِذَا بَدَا فِيهِ أَثَرُ النُّضْجِ"(٣)

نلخص من هذا المعني اللغوي إلي أن التلون يدور معناه إلي عدم الثبات أي التغير سواء في الأفكار أو الخلق أو الهيئة إلي غير ما شابه.

---

(١) انظر: د/أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل- معجم اللغة العربية المعاصرة-الناشر: عالم الكتب الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م -ج٣ ص٢٠٥٠

(٢) ابن منظور - لسان العرب "مرجع سابق" ج١٣ص٣٩٣.

(٣) زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) مختار الصحاح -المحقق: يوسف الشيخ محمد -الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا-الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ص ٢٧٨.

أما مادة لون في القرآن الكريم: فيقول فيها الراغب الأصفهانى(ت٥٠٢هـ)" اللون معروف، وينطوي على الأبيض والأسود وما يركب منهما، ويقال: تلّون: إذا اكتسى لونا غير اللون الذي كان له. **قال تعالى**: ﴿**وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا**﴾[فاطر/ ٢٧]**وقوله**: ﴿ **وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ**﴾[الروم: ٢٢] فإشارة إلى أنواع الألوان واختلاف الصور التي يختص كل واحد بهيئة غير هيئة صاحبه، وسحناء غير سحنائه مع كثرة عددهم، وذلك تنبيه على سعة قدرته. ويعبر بالألوان عن الأجناس والأنواع. يقال: فلان أتى بالألوان من الأحاديث، وتناول كذا ألوانا من الطعام "[١]

نخلص من هذا إلي أن مادة لوّن في القرآن الكريم تارة تشير إلي التغير والتنوع في الألوان، وتارة تشير إلي اختلاف الأجناس والأنواع.

ثانيا: التعريف الاصطلاحي للتلوين.

التلوين: معناه كما قال الطوسي(ت ٣٧٨هـ): " تلون العبد في أحواله"[٢] بمعني أن السالك يتغير من حال إلي حال فيتلون قلبه بتغير الأحوال.

وعرفه السيوطي(ت ٩١١ه) بأنه: "الارتقاء والتدرج من حال إلي حال مختلفة"[٣]

وعرفه الجرجاني (ت ٨١٦): "هو مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة"[٤]، وهذا يعني أن الفحص والطلب يقتضي تغيرا في الجهد وتدرجا في الارتقاء حتي ينتقل به السالك من حال إلي حال.

---

(١) الراغب الأصفهانى – المفردات في غريب القرآ " مرجع سابق ". ص ٧٥١، ٧٥٢

(٢) الطوسي –اللمع "مرجع سابق " ص ٤٤٣.

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)– معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم – المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة / مصر– الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤ م –ص ٢١٤

(٤) الجرجاني – كتاب التعريفات–"مرجع سابق" ص ٦٥، أحمد النقشبندي الخالدي – جامع الأصول في الأولياء (الطرق الصوفية)– "مرجع سابق" ص٢٨٠.

"**فصاحب التلوين**: يترقى من حال إلي حال، ومن مقام إلي مقام ومن وصف إلي وصف، أي من حال الميل إلي حال المحبة، ومن حال المحبة إلي حال العشق لله، ومن حال العشق إلي حال الوصل بالله، ومن حال الوصل إلي حال الفناء، ثم إلي حال الحيرة، حتي يترقى إلي حال البقاء، وهو مقام التمكين الذي تختص به النفس الكاملة التي يكون سيرها بالله، وعالمها كثرة في وحدة، ووحدة في كثرة ومحلها الخفاء، وواردها النور والمعرفة والحقيقة والشريعة"(١)

والتغير والتلوين قد يكون بسببين كما عبر القشيري(ت ٤٦٥هـ) بقوله: "و اعلم أن التغير بما يرد علي العبد يكون لأحد أمرين: إما لقوة الوارد، أو لضعف صاحبه، والسكون من صاحبه لأحد أمرين: إما لقوته أو لضعف الوارد عليه"(٢) لذا قال التلوين: صفة أرباب الأحوال... فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين، لأنه يرتقي من حال إلي حال، وينتقل من وصف إلي وصف... فإذا وصل تمكن... وصاحب التلوين أبدًا في الزيادة وصاحب التمكين وصل ثم اتصل"(٣)

قال قوم: علامة الحقيقة التلوين، لأن التلوين ظهور قدرة القادر ويكتسب منه الغيرة، ومعني التلوين: معني التغيير، فمن أشار إلي تلوين القلوب، وتغير الأحوال فقال: علامة الحقيقة رفع التلوين، ومن أشار إلي تلوين القلوب والأسرار الخالصة لله تعالي في مشاهدتها وما يرد عليها: من التعظيم والهيبة وغير ذلك من تلوين الواردات فقال: "علامة الحقيقة التلوين، لأنهم في كل سير مع الله تعالي في زيادة الواردات علي أسرارهم، أما تلوين الصفات فهو كما قال قائل القائل:

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل.

---

(١) حسن شرقاوي –معجم الفاظ الصوفية "مرجع سابق" ص ٨٨

(٢) القشيري –الرسالة القشيرية "مرجع سابق" ص ١٩٠.

(٣) القشيري– الرسالة القشيرية "مرجع سابق" ص ١٨٩.

قال الواسطي[١] "من تخلق بخُلقُه لم تقع به طوارق التلوين في طبعه"[٢]

وعلي هذا فالتلوين له علامتان: تلوين واردات الأسرار بما ينكشف لأولياء الله وأصفيائه من حجب وأسرار، وتلوين الصفات بما يعرض لهم من تغير وتبدل وهو بصدد تزكية نفوسهم وترويضها للسير نحو طريق الحق الذي يتطلب الانتقال من حال إلي حال، والتحول من وصف إلى وصف، والترقي من مقام إلي مقام، وهذا كله وصف من هو في الطريق لم يصل إلي الآن، فما دام في الطريق فهو متلون، فإذا وصل المنزل فهو متمكن[٣]

الملاحظ هنا أن المعني الاصطلاحي للتلوين والذي يعني الترقي من حال إلي حال أومن مقام إلي مقام لا يختلف كثيرا عن المعني اللغوي والذي معناه عدم الثبات علي حال واحد، بل دائم التغير والتبدل.

(١) أبو بكر الواسطي واسمه محمد بن موسى وأصله من فرغانة وكان يعرف بابن الفرغاني من قدماء أصحاب الجنيد وأبي الحسين النوري وهو من علماء مشايخ القوم لم يتكلم أحد في أصول التصوف مثل ما تكلم هو وكان عالما بالأصول وعلوم الظاهر، دخل خراسان واستوطن كورة مرو ومات بها بعد العشرين وثلاثمائة(أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ)- طبقات الصوفية- المحقق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م ص٢٣٢)

(٢) أبو نصر السراج الطوسي –اللمع "مرجع سابق "ص٤٤٣.

(٣) انظر: عزالدين المقدسي –حل الرموز ومفاتيح الكنوز "مرجع سابق" ص ١٠٤-١٠٥.

المطلب الثاني: التعريف اللغوي والاصطلاحي للتمكين

أولا: التعريف اللغوي للتمكين:

م ك ن: (مَكَّنَهُ) اللَّهُ مِنَ الشَّيْءِ (تَمْكِينًا) وَ (أَمْكَنَهُ) مِنْهُ بِمَعْنًى. وَ (اسْتَمْكَنَ) الرَّجُلُ مِنَ الشَّيْءِ، وَ(تَمَكَّنَ) مِنْهُ بِمَعْنًى. وَفُلَانٌ لَا (يُمْكِنُهُ) النُّهُوضُ أَيْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ(١).

والتمكن في المكان: الاستقرار فيه، ومنه: نوم المتمكن لا ينقض الوضوء.

التمكين: من مكن، والتمكين من الشيء الاقدار عليه = الاعانة عليه(٢)..

وقيل التمكين: إزالة الموانع، مكّن الله تعالى العبد: أي أعطاه آلة يقدر معها على الفعل، قال الله تعالى: وَلَقَدْ مَكَّنّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنّاكُمْ فِيهِ

أي خليناهم وانظرناهم ليتفكروا، عن ابن عباس وقيل: أي وسّعنا عليهم في الرزق وأعطيناهم آلة سليمة. وقوله فِيما إِنْ مَكَّنّاكُمْ فِيهِ قيل: أي في الذي لم نمكنكم فيه، عن ابن عباس: أي في طول الأعمار وقوة الأبدان وكثرة الأموال وقيل: معناه كما مكناكم فيه.

ومكّن له في الأرض ومكّنه فيها، قال الله تعالى: "مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ": أي ولَّيناه، وقال تعالى: ما امَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ(٣).

فالمعني اللغوي للتمكين يدور حول التثبيت والتمكين والاستقرار

---

(١) زين الدين الرازي ت ٦٦٦هـ- مختار الصحاح "مرجع سابق" ص ٢٩٧

(٢) محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي- معجم لغة الفقهاء-الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع -الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ص ١٤٦

(٣) نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم- المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله- الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية) الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م. ج٩ ص ٦٣٦١

مادة مكن في القرآن الكريم:

مادة مكّن في القرآن الكريم معناها رسوخ الشيء... ومنه "مكّنه من الشيء، ومكن له: جعل له عليه سنا، وقدّره"... قال تعالى أيضا: ﴿**فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ** ﴾[الأنفال: ٧١] أي مكّن منهم وجعلهم أسرى في أيديهم، ومنه "المكانة بمعنى الرسوخ في أثناء الشيء، وهذا يعطي المعرفة به، والثبات يعطي القدرة أيضًا قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ**﴾(الأنعام: ١٣٥) وكذا ما في هود: ﴿**وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ**﴾ (هود: ١٢١) أي على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم[١].

وقد ذكر أبو هلال العسكري(ت نحو٣٩٥هـ) الفرق بين التمكين والإقدار: " أن التمكين إعطاء ما يصح به الفعل كائنا ما كان من الآلات والعدد والقوى، والإقدار: إعطاء القدرة، وذلك أن الذي له قدرة على الكتابة تتعذر عليه إذا لم يكن له آلة للكتابة ويتمكن منها إذا حضرت الآلة والقدرة ضد العجز والتمكن ضد التعذر"[٢] بمعني أن التمكين من الشيء (إنالة) ما يصح له من الآلات والقوى، وهو أتم من الإقدار، لأن الإقدار إعطاء القدرة خاصة والقادر على الشيء تعذر عليه الفعل لعدم الآلة[٣]

---

(١) محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، مكتبة الآداب- القاهرة الطبعة الأولى ٢٠١٠م- ج ٤، ص ٢١٠٤.

(٢) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري(المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) الفروق اللغوية -حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر ص ١٨٩.

(٣) محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم "مرجع سابق". ج ٤، ص ٢١٠٤.

ثانيا: التعريف الاصطلاحي للتمكين

التمكن من الشيء في المعني العام أن يكون للإنسان عليه قدرة وسلطان[١]

أما في اصطلاح الصوفية فالتمكين عدة تعريفات منها: -

: **هو**" مقام الاستقامة والثبات علي الصراط المستقيم"[٢]

ومنها أن التمكين: "عند أهل الله مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة، وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين"[٣].

فصاحب التمكين بتعبير القشيري (ت٤٦٥هـ): "وصل ثم اتصل"[٤]أي: "أنه ينتهي إلي غاية الواصلين وأرتقي بالكلية من مقام الفناء إلي مقام البقاء في الله فظفر بالطمأنينة الكبرى والنعمة العظمي، واستولي علي قلبه سلطان الحقيقة، وإذا دام للسالك هذا الحال فإنه صاحب تمكين"[٥].

"وآمارة أنه أتصل: أنه بالكلية عن كليته بطل"[٦]: "يريد بذلك " انخناس أحكام البشرية، واستيلاء سلطان الحقيقة "[٧] فالتمكين إذن "صفة أهل الحقائق"[٨]

---

(١) انظر: أحمد النقشبندي –جامع الأصول في الأولياء (الطرق الصوفية) "مرجع سابق " ص١٠٩

(٢) أحمد النقشبندي –جامع الأصول في الأولياء (الطرق الصوفية) "مرجع سابق " ص ٢٨٠

(٣) الجرجاني – التعريفات "مرجع سابق " ص ٦٦– ٦٧، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)– التوقيف على مهمات التعاريف–الناشر: عالم الكتب –القاهرة–الطبعة الأولى ١٤١٠هـ–١٩٩٠م ص ١٠٩.

(٤) القشيرى– الرسالة القشيرية "مرجع سابق" ص ١٨٩.

(٥) د/ حسن شرقاوي –معجم الفاظ الصوفية "مرجع سابق" ص ٨٨

(٦) القشيري– الرسالة القشيرية "مرجع سابق" ص ١٨٩

(٧) القشيري– الرسالة القشيرية "مرجع سابق" ص ١٨٩

(٨) القشيري– الرسالة القشيرية "مرجع سابق" ص ١٨٩

ولهذا عرفه البعض: "زوال البشرية أي المرتبة التي يقولون لها الفناء والفقر"[١].

وما دامت البشرية قد زالت "فالحق يتولى، بنفسه أمر عبده، فلا يكله إلي نفسه[٢]

ومن هنا عرف التمكن بأنه: "استقرار السالك في مقام الولاية باجتماع صحة الانقطاع عما سوي الحق مع نور الكشف، وصفاء الحال عن العلم، فلا يعارضه العلم، ولا يفارقه الحال، ولا يزاحمه الغير، ولا يسلب عنه الشوق"[٣].

فكل التعريفات السابقة تصب في معني واحد فقط هو أن التمكين يعني الرسوخ والاستقرار والوصول للمنتهي وزوال البشرية والانفصال عن الغير دونه تعالي.

ثالثا: المقام والتمكين والفرق بينهما

المقام: عبارة عن إقامة الطالب علي أداء حقوق المطلوب بشدة اجتهاده وصحة نيته...

أما التمكين: فهو عبارة عن إقامة المحققين في محل الكمال والدرجة العلي، فيمكن لأهل المقامات العبور من المقامات، والعبور من درجة التمكين محال، لأن الأول درجة المبتدئين، والثاني مستقر المنتهين، ويكون العبور من البداية إلي النهاية، ولا وجه لتجاوز النهاية، لأن المقامات منازل الطريق، والتمكين قرار الحضرة، وأحباء الحق يكونون في الطريق عارية، وفي المنازل غرباء وأسرارهم في الحضرة، والآلة في الحضرة آفة والأدوات غيبة وعلة.

---

(١) محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم–تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم – تحقيق: د. علي دحروج –نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي –الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني –الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت –الطبعة الأولى – ١٩٩٦م ج١ ص ٥٠٨

(٢) عبد الرازق الكاشاني ت ٧٣٠هـ – معجم اصطلاحات الصوفية "مرجع سابق" ص ٣٢٤.

(٣) عبد الرازق الكاشاني ت ٧٣٠هـ – معجم اصطلاحات الصوفية "مرجع سابق " ص ٣٤٣–.

وكان الشعراء في الجاهلية يمدحون ممدوحهم بالمعاملة، ولم يكونوا ينظمون الشعر حتى يقطعوا المسافات الطويلة، بحيث إنه عندما كان شاعر يصل إلى حضرة ممدوحه كان يسل سيفه، ويعقر دابته، ويحطم سيفه، وكان مراده من هذا أن يقول: إن الدابة كانت تلزمنى لأقطع بها المسافة الى حضرتك، والسيف لأمنع به حسادى عن خدمتك، والآن وقد وصلت (اليك)، ففيم جدوى آلة المسافة؟ قتلت الدابة لأني لا أجيز الرجوع منك، وحطمت السيف حتى لا اخطر على قلبي الانقطاع عن حضرتك. وحين كانت تمر عدة أيام، كانوا عندئذ ينشدون الشعر[١]

نخلص من هذا إلي أنه يمكن العبور لأهل المقامات بين المقامات، لأنهم في درجة المبتدئين، بخلاف أهل التمكين فهم مستقر المنتهين، فلا عبور لديهم ولا تجاوز فهم النهاية والمستقر، كما أن أصحاب المقام لابد لهم في طريقهم من الآلات والأدوات ليرتقوا من مقام إلي مقام، بخلاف أهل التمكين فإذا ما وصلوا تخلصوا من الآلات والأدوات لأنها في الحضرة آفات ولا جدوي من وجودها.

(١) انظر: الهجويري –كشف المحجوب "مرجع سابق" ج٢ ص ٦١٦–٦١٧.

المطلب الثالث: المقارنة بين التلوين والتمكين

ذكرت في مقدمة الدراسة أن التلوين والتمكين في المصطلح الصوفي من الألفاظ المتقابلة بمعني لا يفهم اللفظ إلا بفهم مقابله.

فإذا كان التلوين: هو مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة، وهو صراط المستقيم، فإن التمكين هو مقام الاستقامة والثبات علي صراط المستقيم.

وإذا كان أرباب التلوين سموا بذلك لتلونهم وتبدل صفاتهم البشرية في طلب الصراط المستقيم فإن أرباب التمكين ثابتون مستقرون علي استقامتهم(١)

وإذا كان التلوين صفة أرباب الأحوال، فإن التمكين صفة أهل الحقائق فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يرتقي من حال إلى حال وينتقل من وصف إلى وصف، ومن ثم فصاحب التلوين أبدا في الزيادة، فإن صاحب التمكين وصل ثم اتصل، وتمكّن، فانتهاء سيرهم الظفر بنفوسهم، فإذا ظفروا بها، فقد وصلوا فانخنست أوصاف البشرية واستولي عليها سلطان الحقيقة، فإن دام ذلك للعبد فهو صاحب تمكين(٢).

وإذا كان التلوين لأرباب القلوب، لأنهم تحت حجب القلوب، وللقلوب تخلص إلي الصفات، وللصفات تعدد بتعدد جهاتها، فظهر لأرباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات، ولا تجاوز للقلوب وأربابها عن عالم الصفات.

فإن أرباب التمكين خرجوا عن مشائم الأحوال، وخرقوا حجب القلوب، وباشرت أرواحهم سطوح نور الذات، فارتفع التلوين لعدم التغير في الذات، إذ جلت ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات، فلما خلصوا إلي مواطن القرب من أنصبة تجلي الذات ارتفع عنهم التلوين، فالتلوين حينئذ يكون في نفوسهم، لأنها في محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها،

---

(١) انظر: النقشبندي – جامع الأصول (الطرق الصوفية)"مرجع سابق " ص ٢٨٠.

(٢) انظر: القشيري – الرسالة القشيرية–"مرجع سابق" ص ١٨٩، النقشبندي – جامع الأصول في الأولياء "مرجع سابق" ص٢٨٠.، ابن عجيبة ت ١٢٢٤هـ– معراج التشوف إلي حقائق التصوف "مرجع سابق" ص ٧٠، عز الدين المقدسي– حل الرموز "مرجع سابق " ص ١٠٤–١٠٥.

والتلوين الواقع في النفوس لا يخرج صاحبه عن حالة التمكين، لأن جريان التلوين في النفس لبقاء رسم الإنسانية، وثبوت القدم في التمكين كشف حق الحقيقة.

وليس المعني بالتمكين: أن لا يكون للعبد تغير فإنه بشر، وإنما المعني به أن ما كوشف له من الحقيقة لا يتوارى عنه أبدًا، ولا يتناقص، بل يزيد.

وصاحب التلوين قد يتناقص الشيء في حقه عند ظهور صفات نفسه، وتغيب عنه الحقيقة في بعض الأحوال. ويكون ثبوته علي مستقر الإيمان، وتلوينه في زوائد الأحوال[١]

يقول عز الدين المقدسي(ت٦٧٨هـ): " والذي يترجح عندي أن المتلون قابل للزيادة والنقص في حاله ومقامه بحسب فنائه عن بشريته ورجوعه إليها، والمتمكن آمن من النقص لخُنُوس[٢] إحساسه وانخلاعه عن نفسه وفنائه عن جثمانيته، لاستيلاء سلطان الحقيقة عليه، ومحوه في ثبوتها وفنائه في بقائها، فهو متمكن من حاله لا يرده الحق إلي معلومات نفسه، ولا مألوفات حسه، بل هو متمكن من حاله بحسب ما يستحق من الحق -سبحانه وتعالي"[٣] يقول الله تعالي: **﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ﴾**(الحديد: ٢٣)

" الله طالب بهذه الآية أهل معرفته بالاستقامة والاتصاف بصفاته أي كونوا في المعرفة بأن لا يؤثر فيكم الفقدان والوجدان والقهر واللطف والاتصال والانفصال والفراق والوصال لأن من شرط الاتصاف أن لا يجرى عليه أحكام التلوين والاضطراب في اليقين والاعوجاج في التمكين"[٤]

بمعني عدم الفرحة بما آتاهم هو من صفات المتحررين من رقّ النّفس، فقيمة الرجال تتبين بتغيّرهم- فمن لم يتغير بما يرد عليه- مما لا يريده- من جفاء أو مكروه أو محنة

---

(١) انظر: السهروردي (ت ٦٣٢هـ)عوارف المعارف "مرجع سابق" ج٢ ص ٣٢٢.

(٢) الخنوس: الانقباض والاستخفاء، وفي الحديث "الشيطان يوسوس إلي العبد فإذا ذكر الله خنس" أي انقبض منه وتأخر (انظر: ابن منظور -لسان العرب "مرجع سابق" ٦/٧١)

(٣) عز الدين المقدسي ت ٦٧٨هـ -حل الرموز "مرجع سابق " ص ١٠٥

(٤) إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) روح البيان الناشر: دار الفكر - بيروت. ج٩ ص ٣٧٧

فهو كامل، ومن لم يتغيّر بالمسارّ كما لا يتغير بالمضارّ، ولا يسرّه الوجود كما لا يحزنه العدم– فهو سيّد وقته.

ويقال: إذا أردت أن تعرف الرجل فاطلبه عند الموارد فالتغيّر بأيّ وجه كان من علامات التلوين، والثبات في المسار والمضار– عند تقلب الأحوال على العارف– من علامات التمكين. فسادات الوقت هم أهل التمكين(١).

وإذا كان كل من التلوين والتمكين وصفين يشيران إلي حالين في محلين، فإن حال التلوين في محل دار المُلْك(٢)، وحال التمكين في محل دار الملكوت(٣)، وهما عالما الغيب والشهادة، فمن شهد عالم الغيب غاب عن عالم الشهادة فلم يبق له رجوع إلي ما غاب عنه، فهو متمكن في شهوده، غائب عن وجوده(٤).

---

(١) انظر: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)–لطائف الإشارات = تفسير القشيري– المحقق: إبراهيم البسيوني –الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب –الطبعة الثالثة ج٣ ص ٥٤٣ هامش

(٢) المُلك: عالم الشهادة(عبد الرازق الكاشاني –اصطلاحات الصوفية "مرجع سابق "ص ١٠٨، رفيق العجم –موسوعة اصطلاحات التصوف "مرجع سابق "ص ٩٣٨)

(٣) الملكوت: عالم الغيب (عبد الرازق الكاشاني –اصطلاحات الصوفية "مرجع سابق " ص ١٠٨، رفيق العجم – موسوعة اصطلاحات الصوفية "مرجع سابق "ص ٩٤٠)

ونسبة ذلك (أي المُلك والملكوت)من الآدمي: قلبه وقالبه، فالقوالب عالم الشهادة في دار المُلْك، والقلوب عالم الغيب في دار الملكوت، فجثمانيتك عالم مُلكك، وروحانيتك عالم ملكوتك. فمن أشرفه الله تعالي علي جوارحه فاستعملها في مصالحه فقد ملك دار مُلكه، ومن أشهده الله غَيْبَ قلبه وأنزله منازل قربه وحبه فقد شهد ملكوت ربه، فأنت مكوّن من كونين، مخلوق من عالمين سفلي وعلوي، مُلْكي ومَلَكوتي، قال الله تعالي: "فإذا سويته ونفخت فيه من روحي"(الحجر: ٢٩)، فكان من التسوية جثمانيتك البشرية، وكان من النفخ روحانيتُك المعنوية(عز الدين المقدسي –حل الرموز "مرجع سابق "ص ١٠٧)

(٤) انظر: عز الدين المقدسي ت ٦٧٨هـ – حل الرموز "مرجع سابق" ص ١٠٧

المطلب الرابع: المحاضرة والمشاهدة وعلاقتهما بالتلوين والتمكين

إذا كان أدني الوصال هي رؤية العبد ربّه تعالى بعين القلب، فهذه الرؤية إن كانت قبل رفع الحجاب فيقال لها: **محاضرة**.

وأمّا إذا كانت بعد رفع الحجاب فيقال لها: **مكاشفة**. والمكاشفة لا تكون بدون رفع الحجاب، أي أنّ السّالك بعد أن يرفع الحجاب عنه فيعلم يقينا في قلبه أنّه هو الله الذي هو حاضر معنا وناظر إلينا وشاهد علينا، وهذا يقال له أيضا: الوصال الأدنى.

وأمّا إذا كان بعد رفع الحجاب والكشف عند تجلّي الذّات فإنّه يرتقي إلى مقام **المشاهدة** الأعلى ويقال لهذا: الوصال الأعلى. والسّالك يبدأ في مقام المحاضرة ثم بعده المكاشفة ثم بعده المشاهدة. فالمحاضرة لأرباب التلوين والمشاهدة لأرباب التمكين والمكاشفة بينهما إلى أن تستقر المشاهدة. والمحاضرة لأهل علم اليقين والمكاشفة لأهل عين اليقين والمشاهدة لأهل حقّ اليقين(١)

فالمحاضرة إذن لأصحاب البدايات وهم أهل التلوين، والمشاهدة هي لأرباب النهايات وهم أهل التمكين.

(١) انظر: التهانوي –موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم "مرجع سابق"–ج٢ ص ١٧٨٤–١٧٨٥، السهرودي –عوارف المعارف "مرجع سابق" ص٣٢١.

المطلب الخامس: التلوين والتمكين عند ابن عربي (ت ٦٣٨هـ)

وعلي حين يظهر التلوين نقص في حق المتلون في النصوص السابقة لابن عربي –نجده عند ابن عربي أكمل المقامات، وهو لا يقابل التمكين لأن هذا الأخير ليس سوي تمكين في التلوين يقول ابن عربي: "التلوين: تنقل العبد في أحواله، وهو عند الأكثرين مقام ناقص، وعندنا هو أكمل المقامات، وحال العبد فيه حال قوله تعالي ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩) التمكين عندنا هو التمكن في التلوين[١] وقيل حال أهل الوصول"[٢]

والتلوين بعد التمكين معناه: "النزول في المقامات كنزول الشمس في برجها، فيتلون العارف مع المقادير، ويدور معها حيث دارت، ويتلون بتلون الوقت، فيكون بين قبض وبسط، وقوة وضعف، ومنع وعطاء، وسرور وحزن، وغير ذلك من تقلبات الأحوال، غير أنه مالك غير مملوك، لا يتغير بتغير الأحوال، ولا يتأثر بالزلازل والأهوال، والله تعالي أعلم"[٣]

"وهكذا يتلون مع كل مقام ويقوم بحقه، ولا يقف مع مقام ولا مع حال، لأنه خليفة الله في أرضه، وقد قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وهذا هو التلوين بعد التمكين"[٤]

---

(١) أصحاب التمكين: لا تؤثر فيهم الأحوال لأنهم أوتاد ثابتة مثبتة، والقيامة حال من أحوال الإنسان وشأن من شئون الحق، فهم الذين قال الله فيهم (لا يحزنهم الفزع الأكبر) (الانبياء: ١٠٣) والذين يغبطهم النبيون والمرسلون لأنهم يحزنهم الفزع الأكبر ولكن علي أممهم لا علي أنفسهم، وهذا من تمكنهم في التلوين، الذي فاقوا به علي من ليس بنبي من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ولو أثرت الأقوال فيهم لأحزنهم الفزع الأكبر علي أنفسهم (عبد الكريم الجيلي ت ٨٣٢هـ –شرح الإسفار عن رسالة الأنوار ص ٣١٧، طبع ونشر شيخ القادرية محمد رجب، دمشق، مطبعة الفيحاء ١٣٤٨هـ، رفيق العجم – موسوعات مصطلحات الصوفية "مرجع سابق" ص ٦٥)

(٢) ابن عربي – الفتوحات المكية "مرجع سابق – ج٣ ص ١٩٥، د/سعاد الحكيم –المعجم الصوفي "مرجع سابق" –ص١٠٠٦

(٣) ابن عجيبة ت ١٢٢٤هـ– معراج التشوف إلي حقائق التصوف "مرجع سابق" ص ٧٠.

(٤) ابن عجيبة ت١٢٢٤هـ – البحر المديد في تفسير القرآن المجيد "مرجع سابق" ج٢ ص٨

مما سبق نستطيع أن نقول: إن السابقين عن ابن عربي يرون أن التلوين مقام ناقص لأنه مقام لطلب الاستقامة بخلاف مقام: التمكين الذي مفاده الثبات والاستقرار علي الاستقامة، إلا أن ابن عربي(ت ٦٣٨هـ) يري أن التلوين هو أكمل المقامات، وهذا الرأي تبعه فيه بعض المتأخرين حيث يرون أن التلوين علامة علي صاحبه بأنه متحقق محقق كامل إلهي، وهذا ما عبر عنه الجيلي (ت٨٣٢هـ) بقوله: " وهو الذي ارتضيه وهو مذهبي وبه أقول، وعلي قدر تمكنه في التلوين يكون كماله، وأن التلوين نعت إلهي كمال إذ لا يتصور في ذلك الجناب نقص أصلا بوجه ولا نسبة ولا تكمل المقامات والأمور إلا أن يكون من النعوت الإلهية، فإن الكمال لله علي الإطلاق"[١]

وإنما قال ابن عربي إنه عندنا أكمل المقامات، وعند الأكثرين مقام ناقص، لأنه أراد بالتلوين الفرق بعد الجمع إذا لم تكن كثرة الفرق حاجبة عن وحدة الجمع، وهو مقام أحدية الفرق بعد الجمع وانكشاف حقيقة معني قوله تعالي: ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾(الرحمن: ٢٩) ولا شك أنه أعلي المقامات وعند هذه الطائفة ذلك نهاية التمكين[٢] يتضح ذلك تحت العنوان التالي:

(١) عبد الكريم الجيلي– شرح الأسفار عن رسالة الأنوار "مرجع سابق" ص ٢٧٢، رفيق العجم: موسوعات مصطلحات التصوف الإسلامي "مرجع سابق" ص ٢٠٠.

(٢) انظر: عبد الرازق الكاشاني – اصطلاحات الصوفية "مرجع سابق" ص ١٧٥، أحمد النقشبندي الخالدي– جامع الأصول في الأولياء(٣–معجم الكلمات الصوفية)–تحقيق/أديب نصر الدين – مؤسسة الانتشار العربي بيروت للنشر– الطبعة الأولي ١٩٩٧م ص ٢٢، رفيق العجم –موسوعات اصطلاحات التصوف الإسلامي "مرجع سابق "ص ٢٠١.

المطلب السادس: الفرق والجمع وعلاقتهما بالتلوين والتمكين

الفرق في الاصطلاح الصوفي يقابل الجمع، لذا قيل: الفرق ما نسب إليك، والجمع ما سلب عنك، ومعناه أن ما يكون كسبًا للعبد من إقامة وظائف العبودية، وما يليق بأحوال البشرية، فهو فرق، وما يكون من قبل الحق من إبداء معانٍ وابتداء لطف وإحسان فهو جمع، ولا بد للعبد منهما: فإن من لا تفرقة له لا عبودية له، ومن لا جمع له لا معرفة له، فقول العبد: إياك نعبد، إثبات للتفرقة بإثبات العبودية، وقوله: "وإياك نستعين" طلب للجمع، فالتفرقة بداية الإرادة، والجمع نهايتها.

وإذا كان الجمع هو: "شهود الحق بلا خلق"[١]فإن جمع الجمع هو: "شهود الخلق قائما بالحق ويسمي الفرق بعد الجمع"[٢]أو هو كما عبر عنه ابن عربي(ت٦٣٨هـ) أنه "الاستهلاك بالكلية في الله عند رؤية الجمال"[٣] أي الفناء عما سوى الله، وهو المرتبة الأحدية[٤]، "ولعدم استقرار حال الجمع في البداية يتناوب في العبد، الجمع والتفرقة، فلا يزال يلوح له لائح الجمع ويغيب، إلي أن يستقر فيه بحيث لا يفارقه أبدًا، فلو نظر بعين التفرقة لا يسلب نظر الجمع، ولو نظر بعين الجمع لا يفقد نظر التفرقة، بل يجتمع له عينان، ينظر باليمين إلي الحق نظر الجمع، وباليسرى إلي الخلق في نظر التفرقة، ويسمي هذه الحالة جمع الجمع وهي أعلي رتبة من الجمع الصرف لاجتماع الضدين

(١) عبد الرازق الكاشاني –معجم اصطلاحات الصوفية "مرجع سابق "ص ٦٧

(٢) الكاشاني – معجم اصطلاحات الصوفية "مرجع سابق "ص ٦٧، أحمد النقشبندي الخالدي– جامع الأصول في الأولياء(٣– معجم الكلمات الصوفية)"مرجع سابق" ص٢٥.

(٣) ابن عربي –الفتوحات المكية "مرجع سابق ج٣ ص١٩٨، رفيق العجم – موسوعات اصطلاحات الصوفية "مرجع سابق "ص ٢٥٦.

(٤) الجرجاني – التعريفات "مرجع سابق "ص ٧٧

فيها... وصاحب هذه الحالة يستوي عنده الخلطة والوحدة ولا تقدح المخالطة مع الخلق في حاله... "[1]

نخلص من هذا إلي أن المعني بالتلوين في التمكين عند ابن عربي(ت٦٣٨هـ) هو مقام جمع الجمع ومعناه شهود الخلق قائما بالحق ويسمي الفرق بعد الجمع، أي الاستهلاك بالكلية في الله عند رؤية الجمال، بمعني الفناء عما سوي الله، وعندما يصل السالك إلي هذه الحالة يستوي عنده الخلطة والوحدة ولا تقدح المخالطة مع الخلق في حاله، وهذا بعينه هو التلوين في التمكين، لذلك كان أعلي المقامات عند ابن عربي، لأنه نهاية التمكين.

(١) عز الدين محمود كاشاني – كشف الوجوه الغُرّ لمعاني نظم الدر (شرح تائية ابن فارض)– تصحيح وتحقيق /محمود بهجت– منشورات أيت إشراق قم ١٣٨٩هـ ص ٨٩–٩٠

المطلب السابع: الصحو والسكر وعلاقتهما بالتلوين والتمكين

يعبر الصوفية عن التردد بين التلوين والتمكين أيضا بمقامي السكر والصحو، قال التهانوي: " ويتردد السائر بين الصحو الأول المثبت للحدث والسكر الماحي له، وتسمي هذه الحالة تلوينا، فإذا استقر حال المشاهدة دام محو الحدث وإثبات القدم، وتسمي هذه الحالة تمكينا لدوام الوجدان، وصاحب السكر لا يدوم وجدانه بل يجد تارة ويفقد أخري، ويكون مأسورًا تحت تصرف التلوين، ومناط تلوينه الوجود الذي هو مثار الصحو الأول، والسالك لا يستغني عن السكر مالم يخلص عن الصحو الأول، فإذا خلص إلي الصحو الثاني صار غنيا عن السكر"(١)

ولتوضيح ذلك لابد من أعرف بالصحو والسكر

الصحو في اللغة: ذهاب الغيم وأصحت السماء فهي مصحية، انقشع عنها الغيم، وقال الكسائي(ت١٨٩هـ): فهي صحو، قال: ولا تقل: مصحية.

والصحو: ارتفاع النهار، قال سويد(٢):

تمنح المرآة وجها واضحا مثل قرن الشمس في الصحو ارتفع

والصحو: ذهاب السُّكر وترك الصَّبا والباطل، يقال: صحا قلبه، وصحا السكران من سُكره يصحو صحوًا وصُحُوا فهو صاح، وأصحي: ذهب سُكره

والعرب تقول: ذهب بين الصحو والسّكرة، أي بين أن يعقل ولا يعقل(٣)

والسُّكر في اللغة: "نقيض الصحو، السكران خلاف الصاحي"(٤)

---

(١) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون "مرجع سابق " ج١ ص ٩٦٢.

(٢) سويد بن أبي كاهل، شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام عدّه ابن سلام في طبقة عنترة (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)- الأعلام- الناشر: دار العلم للملايين -الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢ م ج٣ ص١٤٦)

(٣) انظر: ابن منظور – لسان العرب "مرجع سابق"ج١٤ ص٤٥٢.

(٤) ابن منظور – لسان العرب "مرجع سابق"ج٤ ص٣٧٢.

وقد شرح السهرودي (ت ٦٣٢هـ)"السكر والصحو" في شرحه لكلمات تشير إلي بعض الأحوال في اصطلاح الصوفية فقال: " ومنها السكر والصحو، فالسكر: استيلاء سلطان الحال، والصحو: العود إلي ترتيب الأفعال، وتهذيب الأقوال... وقال الواسطي: مقامات الوجد أربعة: الذهول، ثم الحيرة، ثم السكر، ثم الصحو، كمن سمع بالبحر، ثم دنا منه، ثم دخل، ثم أخذته الأمواج، فعلي هذا من بقي عليه أثر من سريان الحال فيه فعليه أثر من السكر، ومن عاد كل شيء منه إلي مستقره فهو صاح، فالسكر لأرباب القلوب، والصحو: للمكاشفين بحقائق الغيوب"(١)

وهنا السكر يتفق مع التلوين في أنه لأرباب القلوب، والصحو يتفق مع التمكين في أنه لأرباب الحقائق.

ويري القشيري(٤٦٥هـ)(٢)وكذلك ابن عربي(٦٣٨هـ)(٣)أن "السكر: غيبة بوارد قوي" وأن "الصحو: رجوع إلي الإحساس بعد الغيبة بوارد قوي" أو كما قيل: " عاد شعاع العقل إلي عالم النفس والحس وظهر التميز بين المتفرقات من المعقولات والمحسوسات وتسمي هذه الحالة صحوا، ولهذا المعني في الشاهد نظير محبوب دخل علي محبه فجأة فأذهله عما فيه من الأمر، بحيث غاب متحيرًا في مشاهدته عن العقل والتميز، فلما كرر النظر إلي محاسنه وجماله واستأنس بلقائه ووصاله، عاد التمييز والتبصر، وزال الدهش والتحير، وهذا كما خرج يوسف بغتة علي النسوة فقطعن أيديهن، لما أصابهن من الحيرة في شهود جماله، والغيبة عن أوصافهن، كما قيل:

غابت صفات القاطعات أكفها ... في شاهد هو في البرية أبدع

---

(١) السهرودي ت ٦٣٢هـ –عوارف المعارف "مرجع سابق" ص٣١٩.

(٢) القشيري – الرسالة القشيرية "مرجع سابق " ص ١٥٣.

(٣) ابن عربي – الفتوحات المكية "مرجع سابق "ج٣ ص ١٩٧، عبدالرازق الكاشاني ت ٧٣٠هـ معجم اصطلاحات الصوفية "مرجع سابق" ص ٣٥٧، سعاد الحكيم – المعجم الصوفي "مرجع سابق " ص ١٢٠٥

ولا شك أن زليخا كانت أبلغ في محبته منهن، لكنها لم تغب عن التمييز بشهود جماله، لتمكن حالة الشهود في قلبها"(١)

وحال النسوة عندما رأين سيدنا يوسف كما هو مثالا للسكر، فكذلك هو عند السادة الصوفية مثالا للتلوين، وكذلك ثبات السيدة زليخا في رؤيتها لسيدنا يوسف في ذات الموقف كما هو مثالا للصحو، فكذلك هو عند السادة الصوفية مثالا للتمكين، وسنقف علي ذلك تفصيلا في الجانب التطبيقي.

وينقل الهجويري(ت٤٦٥هـ) في كتابه "كشف المحجوب " الأقوال في التفضيل بين الصحو والسكر وهاك نصه: " لأهل المعاني أقوال كثيرة في هذا المعني، فجماعة يفضلون الصحو علي السكر، وجماعة علي خلافهم يفضلون السكر علي الصحو

... ثم إن أولئك الذين يفضلون الصحو علي السكر – وهم الجنيد رضي الله عنه و اتباعه يقولون أن السكر محل لآفة، لأنه تشويش الأحوال، وذهاب الصحة، وضياع زمام النفس.... مثل موسي عليه السلام حين كان في حال السكر فلم يطق تجل واحد ففقد الوعي، والرسول صلي الله عليه وسلم كان في حال الصحو فكان من مكة إلي قاب قوسين في عين التجلي، وكان في كل لحظة أكثر يقظة وصحوا"(٢)

والذين يفضلون الصحو هنا علي السكر يرون أن السكر محل لآفة، وتشويش الأحوال، وهذا يشابه التلوين لذلك اعتبروه مقام ناقص، والصحو كالتمكين في زوال الآفة وهذا أبلغ وأتم، وقد ضربا للسكر والصحو نفس المثال الذي ضربا للتلوين والتمكين، وهو حال سيدنا موسي وسيدنا محمد –عليهما السلام –حال رؤيتهما لله تعالي – وسيتضح ذلك تفصيلا في الجانب التطبيقي.

(١) عز الدين محمود كاشاني – كشف الوجوه الغُرّ لمعاني نظم الدر "مرجع سابق" ص٨٢
(٢) الهجويري –كشف المحجوب "مرجع سابق "–ج٢ ص ٤١٤ – ٤١٥

بل إن هناك من ذكر أن مقام المنتهي هو الصحو والتمكين وإجابة الحق من حيث دعاه، قد استوي في حاله الشدة والرخاء والمنع والعطاء والجفاء والوفاء، أكله كجوعه، ونومه كسهره، قد فنيت حظوظه وبقيت حقوقه، ظاهرة مع الخلق وباطنه مع الحق، وكل ذلك منقول من أحوال النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه، أوّله كان متخليا في غار حراء ثم صار مع الخلق ولا فرق عنده بين الخلوة والجلوة وكذلك أصحاب الصفة صاروا في حالة التمكين أمراء ووزراء فإن المخالطة لا تؤثر فيهم (١)

من هذا نخلص أن مقام الصحو يوافق التمكين في الفناء عما سوي الله والبقاء مع الله تعالي.

(١) انظر: رفيق العجم –موسوعة مصطلحات التصوف "مرجع سابق "ص٩٢٥

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي للتلوين والتمكين في الإشاري

تمهيد:

أهل التمكين هم أنبياء الله–عليهم السلام– فقد روي أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعي– رضي الله عنه– عن مسائل في الورع والشافعي – رحمه الله– يُقبل عليه لورعه وقال للشافعي يوما: أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين؟ فقال الشافعي–رحمه الله–: التمكين درجة الأنبياء ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر وإذا صبر مُكّن ألا ترى أن الله ﷻامتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا والتمكين أفضل الدرجات قال الله عز وجل ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾(يوسف: ٥٦) وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكنه الله، قال الله تعالى ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ (الأنبياء: ٨٤)[١]

ويعقب الغزالي(ت٥٠٥هـ)علي هذا بقوله: " فهذا الكلام من الشافعي –رحمه الله –يدل على تبحره في أسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء وكل ذلك من علوم الآخرة "[٢] وأشد الأنبياء ابتلاءً وصبرًا سيدنا محمد (ﷺ) لذا خصه الله في كثير من آياته بمقام التمكين كما سنري تحت العنوان التالي

(١) الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) تفسير الإمام الشافعي– جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)الناشر: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م ج٢ ص ٩٧٨، ج٣ ص١٠٧٦

(٢) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)– إحياء علوم الدين –الناشر: دار المعرفة – بيروت ج١ ص ٢٦، قارن: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ذم الهوى –المحقق: مصطفى عبد الواحد–مراجعة: محمد الغزالي – ص ٦٦٣–بدون دار نشر أو تاريخ طبع.

المطلب الأول: اختصاص سيدنا محمد ﷺ بمقام التمكين

هناك كثير من الآيات القرآنية تدل علي اختصاص سيدنا محمد ﷺ بمقام التمكين منها:

أولا – قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾(الشرح: ١)استفهام أفاد انكار نفي الشرح مبالغة في اثباته إذ انكار النفي نفي له ونفي النفي إثبات أي قد شرحناه لك... ومعنى قوله(شرح: وسع) بالتشديد، (والمراد بالصدر هنا: القلب) لأن الصدر غير قابل للتضييق والتوسيع أي وسع قلبه لتجليات ربه و تنزلات حكمه بعد ما كان يضيق صدره لما ينعكس عليه من غبار غيره لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾(الحجر: ٩٧) أي فينا أو في القرآن أو فيك ثم قال تعالى ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾(الأعراف: ٢)فهذا نهي تكوين كما أن قوله تعالى " **فَلَا يَكُنْ** "أمر تكوين فيكون المأمور ولا يكون المنهي وبه ينتفي التلوين ويتحقق التمكين المعبر عنه بمرتبة جمع الجمع بين مناجاة الحق ومفاداة الخلق بحيث لا تحجبه الكثرة عن الوحدة ولا عكسه.

قال الجنيد (ت٢٩٨هـ) رحمة الله عليه: "لا يضيقن قلبك بحمله وثقله فإن حمل الصفات ثقيلة إلا علي من يؤيد بقبول المشاهدة"[١]

وقيل معناه: (ألم نطهر قلبك) من الاستئناس بالناس (حتى لا يؤذيك) وفي نسخة لا يقبل (الوسواس) أي لا يشوش عليك الموسوسون من الإنس والشياطين حالة الحضور في حضرة العيان وهو أتم وأعم من تفسير بعضهم الوسواس بالشيطان[٢] إشارة إلى تمكينه في وقت كشوف المشاهدة، واستغراقه في بحر الوحدة حيث لا يبقى فيه أثر

(١) أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسي الأزدي السلمي ت ٤١٢هـ – حقائق التفسير(تفسير القرآن الكريم)تحقيق/ سيد عمران – دار الكتب العلمية ببيروت– الطبعة الأولي ١٤٢١هـ-٢٠٠١م–ج١ ص ٢٢٠

(٢) علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)– شرح الشفا–الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ص ٥١

البشرية، والكونين، وهذا محل استقامته في مشهد التمكين... وكان أكثر أوقاته كذلك لكن يرده الله إلى تأديب أمته في بعض الأوقات ليجري عليهم أحكام التلوين، ولا يذوب في أنوار كبرياء الأزل(١)

وجاء في حقائق التفسير: "قال ابن عطاء: في قوله ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ قال: ألم نخل سرك عن الكل فغبت عن مشاهدة الكون وما سوي الحق، فشرح لك صدرك للنظر، وشرح صدر موسي للكلام صلي الله عليهما"(٢)

ثانيا – قوله تعالي: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾(الأسراء: ٧٩)

يقول الجيلاني(ت ٧١٣هـ) في تفسير هذه الآية: "عسي أن يبعثك ربك مقاما محمودًا أي مقاما من مقامات القرب و درجات الوصال مسمي بالمقام المحمود، لأن كل من وصل إليه يحمد له، إذ لا مقام أرفع منه وأعلي رتبة ومكانة.

وبعدما وصلت أيها السالك الناسك إليها لم يبق لك درجة الاستكمال والاسترشاد، بل صرت كاملا رشيدًا وإن أُلهمت وأذنت من عنده سبحانه صرت مرشدًا مكملا لأهل النقصان، شفيعا لهم عند الله بإذنه... وبعد وصولك لسعيك وجهدك وأنواع تهجدك وإقامتك في خلال الليالي بتوفيق الله وتيسيره علي ما وصلت من المقامات العلية والمراتب السنية ﴿وَقُلْ﴾ مناجيا إلي ربك ملتجئا نحوه طالب التمكن والتقرر في المقام الذي وصلت إليه بتوفيقه وتأييده﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي﴾ بفضلك وجودك﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ومنزل قرار، وهو مقر التوحيد المسقط لأنواع الإضافات والكثرات وخلدني فيه بلا تذبذب وتلوين"(٣)

---

(١) علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م ج١ ص٥٨

(٢) عبد الرحمن السلمي –حقائق التفسير "مرجع سابق" ج٢ ص٤٠٤"

(٣) محي الدين عبد القادر الجيلاني ت ٧١٣هـ – تفسير الجيلاني– تحقيق وتخريج وتعليق /أحمد فريد المزيدي –المكتبة المعروفية باكستان للنشر– طبعة ١٤٣١–٢٠١٠م – ج٣ ص ٣٧–٣٨.

ثالثا–قوله تعالي: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (الأسراء: ١١٠) وفيها يقول الجيلاني(ت٧١٣هـ): "لا تجهر أيها العارف المتمكن في مقام التوحيد، الراشح فيه بلا تلوين وتقييد... وقل بعدما تحققت وتمكنت في مقام التوحيد شكرا لما أنعمك الحق الوصل إليه، وأمكنك التحقق دونه والورود عليه "(١)

رابعا: قوله تعالي: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ١٧)معناه كما ذكر ابن عربي(ت٦٣٨هـ)في تفسيره: "دوام استقامتك في التوحيد، وعارض أذاهم بالصبر في التمكين، ولا تظهر نفسك في مقابلة أذاهم بالتلوين، فإنك قائم بالله متحقق بالحق فلا تتحرك إلا به **﴿وَاذْكُرْ﴾** حال أخيك **﴿عَبْدَنَا﴾** المخصوص بعنايتنا القديمة **﴿دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾** أي: القوة والتمكين والاضطلاع في الدين، كيف زل عن مقام استقامته في التلوين فلا يكن حالك في ظهور النفس حاله، ثم وصف قوة حال دواد عليه السلام وكماله بقوله**﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾** رجّاع إلي الحق عن صفاته و أفعاله بالفناء فيه... ثم بيّن تلوينه وظهور نفسه في زلته، وتبيينه الحق بالعتاب علي خطيئته وتأديبه إياه وتداركه بتوبته بقوله: **﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾**(ص: ٢٥)التلوين بستر صفاته بنور صفاتنا"(٢)

من خلال الآيات القرآنية السالفة الذكر والوقوف علي معناها في التفسير الإشاري وغيره من كتب الصوفية يتضح لنا المكانة العظمي لسيدنا محمد(ﷺ) بمقام التمكين الذي هو أعلي الدرجات.

---

(١) تفسير الجيلاني ت ٧١٣هـ – "مرجع سابق" ج٤ ص ١٠٦.

(٢) محي الدين بن علي بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي ت ٦٣٨هـ – تفسير القرآن الكريم – بدون دار نشر أو تاريخ طبع –ج٢ ص ١٧٥–١٧٦.

المطلب الثاني: التلوين والتمكين بين سيدنا موسي وسيدنا محمد - عليهما السلام -

ذكر الهجويري(ت ٤٦٥هـ) أن المراد من التلوين: التغير والتحول من حال الى حال. والمراد من ذلك أن لا يكون المتمكن مترددا، ويكون قد حمل متاعه جملة الى الحضرة، ومحا من قلبه التفكير في الغير، فلا تجرى عليه معاملة التبدل حكم ظاهره، ولا يلزمه حال ليغير حكم باطنه، مثلما كان موسى –صلوات الله عليه– متلونا، فما أن نظر الحق تعالى نظرة الى طور التجلي حتى ذهب وعيه، كما قال الله تعالى﴿ **وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا**﴾(الأعراف: ١٤٣) وكان الرسول (ﷺ) متمكنا، فكان من مكة حتى قاب قوسين العليا، والله أعلم. في عين التجلى، ولم يتحول عن حاله، ولم يتغير، وهذه هي الدرجة[١].

فعلي هذا التقدير "كان موسى(عليه السلام)متلونا إذ رجع من حضرة المناجاة والمكالمة، وقد أثر حاله علي وجهه فلا ينظر إليه أحد إلا عَمي لتمكن حاله فيه حتي أَذن الله له أن يتبرقع فتبرقع.

ومحمد(ﷺ) كان متمكنا لأنه رجع من حضرة المشاهدة، ولم توثر فيه حالة ولا غلب عليه أمر، فهو متمكن لأنه لم يزل في حضرة ومشاهدة فنُقل من حضرة إلي حضرة، ومن رؤية إلي رؤية... "[٢]

قال أبو علي الدقاق(ت٤٠٥هـ): "كان موسي(عليه السلام)صاحب تلوين، لأنه رجع من سماع كلام الله تعالي، وطلب الرؤية، إلي ستر وجهه لما أثرت فيه الحال، ومحمد(ﷺ)

(١) انظر: الهجويري –كشف المحجوب –"مرجع سابق "ج٢ ص ٦١٧–٦١٨.

(٢) عز الدين المقدسي ت ٦٧٨هـ – حل الرموز ومفاتيح الكنوز "مرجع سابق" ص ١٠٥.

كان صاحب تمكين، فرجع كما ذهب ليلة المعراج، لم يؤثر فيه ما شاهده، ولا ما سمعه تلك الليلة "[١]

سئل الشبلي(ت ٣٠٤هـ): "كيف ثبت النبي –صلي الله عليه وسلم – في المعراج للقاء والمخاطبة؟ فقال: إنه هيئ لأمر فمكّن فيه"[٢]

بمعني أنه كان في حال رؤيته لله عز وجل في باب الثبات والقوة والتمكين من حاله من حيث لم تستفزه هذه الحال ولا أزعجته وأوهنته كما يكون المذكور في الخبر على تلك الهيئة في أتم أحواله وأقواها وتكون الفائدة فيه ما خصه الله عز وجل به من التمكين في تلك الحالة... [٣] وكان ذلك تفضيلا له علي غيره من الأنبياء" ألا تري أن موسي صعق عند التجلي، ففي الضعف جابه النبي(ﷺ)في مشاهدته كفاحا ببصر قلبه، فثبت لقوة حاله وعلو مقامه ودرجته "[٤]

وقد قال سهل(ت ٢٨٣هـ) في تفسير قول الله تعالي: ﴿ **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾(النجم: ١٨) فلم يذهب بذلك عن مشهوده ولم يفارق مجاورة معبوده"[٥]

---

(١) أحمد النقشبندي –جامع الأصول في الأولياء "مرجع سابق " ص ٢٨١، د/سعاد الحكيم –المعجم الصوفي– "مرجع سابق" هامش ص١٠٠٧، الإمام القشيري –الرسالة القشيرية" مرجع سابق "ج١ ص ١٨٩، د/ حسن شرقاوي –معجم الفاظ الصوفية "مرجع سابق "ص ٨٧.

(٢) الإمام القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) لطائف الإشارات "مرجع سابق "ج٣ ص ٤٨٤

(٣) انظر: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ) مشكل الحديث وبيانه–المحقق: موسى محمد علي –الناشر: عالم الكتب – بيروت –الطبعة الثانية، ١٩٨٥م – ص ٣٦٧.

(٤) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ) تفسير التستري جمعها: أبو بكر محمد البلدي –المحقق: محمد باسل عيون السود –الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ج١ ص ١٥٧.

(٥) أبو عبد الرحمن السلمي ت ٤١٢هـ – حقائق التفسير "مرجع سابق" ج٢ ص ٢٨٦.

قال ابن عطاء(ت ٣٠٩هـ): "رأي الآيات فلم تكبر في عينه لكبر همته وعلو محله ولاتصاله بالكبير المتعال"[١]وقال بعضهم: " من الآيات ما لو رآها غيره لكبر في عينه وعظم، ولكنه لتمام تمكينه لم يستكبر كبيرًا ولم يُعر طرفه شيئا(ما زاغ) عن قصده (وما طغي) عن يقينه"[٢] "أي ما مال بصره عما ابيح له النظر من الآيات والعبر وما جاوز ما حد له وراعي شرط الأدب في قرب حضرة الرب"[٣]"بل قد التزم وتمكن حينئذ بقيام ما لزم من آداب العبودية ولوازم الإطاعة والانقياد أكثر مما التزمها قبل انكشافه"[٤]

وهذا يدل علي "ثبات بقائه في حال لقائه ربه سبحانه وهي أكبر الآيات الدالة علي حفظه إياه و هو أنه أبقاه بوصف الصحو حتي رأي الله"[٥]

وهناك من فسر هذا الموقف بقوله: "وقالوا من لم يعرف الله تعالى فالسكوت عليه حتم، ومن عرف الله تعالى فالصّمت له جزم. ولذلك قيل من عرف الله كلّ لسانه، ولا يعارضه ما قيل: من عرف الله طال لسانه: إذ المعنى من عرف الله بالذات كلّ لسانه ومن عرف الله بالصفات طال لسانه. لأنّ الشّخص الذي له مقام التلوين يكون له معرفة الصفات، وأمّا من كان في مقام التمكين فله معرفة الذات.

---

(١) أبو عبد الرحمن السلمي – حقائق التفسير "مرجع سابق"–ج٢ ص٢٨٦، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي المكي الحنفي الشهير ب "الملا علي القاري ت ١٠١٤هـ"– تفسير الملا علي القاري –المسمى "أنوار القرآن وأسرار الفرقان الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان –تحقيق د/ ناجي السويد –دار الكتب العلمية ببيروت للنشر– الطبعة الأولي ٢٠١٣م– ج٥ ص ٥١.

(٢) أبو عبد الرحمن السلمي – حقائق التفسير "مرجع سابق "ج٢ ص٢٨٦.

(٣) تفسير الملا علي القارئ "مرجع سابق "ج٥ ص ٥٠.

(٤) نعمة الله بن محمود النخجواني – الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية – المطبعة العثمانية بدار الخلافة العلية الإسلامية – المطبعة العثمانية – الطبعة الأولي ١٣٢٥هـ–ج٢ ص ٣٦٣.

(٥) تفسير الملا علي القارئ "مرجع سابق " ج٥ ص ٥١.

وذلك مثل سيدنا موسى عندما كان في مقام التلوين فتطاول قائلا: ربّ أرني أنظر إليك.

فجاءه الجواب: لن تراني. وأمّا نبيّنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فلكونه في مقام التمكين فلم يتطاول بلسانه ولم يطلب الرؤية لهذا حظي بالرؤية، أو يقال: المعنى من عرف الله بمعرفته الشهودية الضرورية كلّ لسانه، ومن عرف الله بمعرفته الاستدلالية طال لسانه انتهى"[١]

قال ابن عطاء(ت ٣٠٩هـ) كما جاء في حقائق التفسير: "ليس كل من رأي مكن فؤاده من إدراكه إذ العيان قد يظهر فيضطرب السر عن حمل الفؤاد عليه والرسول – صلي الله عليه وسلم– محمول فيها في فؤاده وعقده وحسه ونظره وهذا يدل علي صدق صلابته وحمله فيما شوهد به "[٢]

قال الجيلاني(ت ٧١٣هـ)في تفسير قوله تعالي ﴿**مَا زَاغَ الْبَصَر**﴾(النجم: ١٧)أي: "ما مال وانحرف بصر رسول الله –صلي الله عليه وسلم– عند تعاقب التجليات الإلهية، وترادف شئونه الغيبية، وتطوراته الجمالية والجلالية حسب أسمائه وصفاته العلية عن وحدة ذاته، وما يشغله شيء منه سبحانه ﴿**وَمَا طَغَى**﴾(النجم: ١٧) خرج نفسه(ﷺ)عن رؤية ما رأي من العجائب والغرائب عن ربقة الرقية(ﷺ)وعروة العبودية، بل التزم حينئذ بقيام ما لزم من آداب العبودية ولوازم الإطاعة والانقياد أكثر مما التزمها قبل انكشافه"[٣]

وجاء في التأويلات النجمية: ﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**﴾أي ما زاغ بصر النبي ﷺ وما التفت إلي الجنة ومزخرفاتها، ولا إلي الجحيم وتبعاتها شاخصا بصره إلي الحق وما

(١) التهانوي –موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم "مرجع سابق" ج٢ ص ١٥٨٥

(٢) أبو عبد الرحمن السلمي ت ٤١٢هـ – حقائق التفسير "مرجع سابق" ج٢ ص ٢٨٥.

(٣) محي الدين عبد القادر الجيلاني ت ٧١٣هـ – تفسير الجيلاني "مرجع سابق" ج٥ ص ٨١.

طغي قدمه عن الصراط المستقيم، وما زال في سيره إلي الله تعالي حتي صادفته الجذبة وأوصلته إلي عالم الجبروت"[١]

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾(الاعراف: ١٤٤) أي خذ ما آتيتك من الكلام فتلا: واصطفيتك به على الناس، فاشكر عليه والنظر فقد خصصت به محمداً، وعن ابن عباس وكعب أنّ الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فأعطى موسى الكلام وخصّ محمداً بالرؤية، ومما يؤيد هذا القول أنّ الذي آتاه الكلام هو الذي ثبت له فدلّ أنه هو الذي أريد به لأنّ الله تعالى إذا أراد عبداً بشيء ثبته فيه وقواه عليه، وقد ثبت محمداً لما آتاه من الرؤية وقواه لها ومكنه فيه، لأنه أراد بها[٢]

ونتيجة لاختلاف المقام في رؤية الله تعالي بين سيدنا موسي وسيدنا محمد –عليهما السلام– فقد عقد بعض العلماء مقارنة بينهما فقال: مثل المحبوب من المحبّ مثل مقام المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مقام موسى(عليه السلام)قال موسى ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾(طه: ٢٥)وقال لمحمد﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾(الشرح: ١) وقال موسى﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي**﴾(طه: ٢٩–٣٠)وقال لمحمد: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾(الشرح: ٤) أيّ تقرن بي في الشهادة والآذان، لا أوازرك بغيري لأنك من أهلي، والوزير القرين والظهير، أي فأنت من أهلي فقد وزرتك وقرنتك بذكري، فأنا ظهيرك ومعينك لا أشد أزرك

---

(١) أحمد بن عمر بن محمد نجم الدين الكبري ت ٦١٨هـ– التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي –ويليه /تتمتة عين الحياة –تأليف علاء الدولة أحمد بن محمد السمناني ت ٧٣٦هـ – تحقيق وتخريج وتعليق ودراسة /أحمد فريد المزيدي – دار الكتب العلمية ببيروت للنشر– الطبعة الأولي ٢٠٠٩م – ج٦ ص ٤٢

(٢) محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)– قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد–المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي–الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان –الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ –٢٠٠٥ م – ج٢ص ١٠٩

بغيري... وقال لموسى(عليه السلام)بعد المقام: ﴿**قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى*وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى**﴾(طه: ٣٦-٣٧) ففي هذا تحديد، وقال لمحمد (صلى الله عليه وسلم) بعد المقامات: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾(طه: ١١٤) فلم يحد له حدّاً، فهذا غاية المزيد.

وقال موسى(عليه السلام)﴿ **رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ**﴾ (الاعراف: ١٤٣) أي في محل العبودية، وقال عن محمد(صلى الله عليه وسلم)﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾(النجم: ٩) أي مكان الربوبية، فبين المحبّ والمحبوب في التقليب، كما بين موسى ومحمد -عليهما السلام -في التقريب، كم بين من رأى ما رأى عند نفسه في مكانه وبين من رأى ربّه في علوه، كم بين من عجل إليه شوقاً منه ليرضى عنه وبين من عجل به شوقاً إليه ليرضاه إليه لرضاه عنه، كم بين من رأى ما رأى فلم يثبت، ففاضت عليه الأنوار لضيقه، وبين من رأى ما رأى فثبت له وغاضت فيه الأنوار لسعته، فقد جاوز المحبوب مقام المحبّ في التمكين، كما جاوز محمد(صلى الله عليه وسلم)مقام موسى (عليه السلام) في المكان أدخل بينه وبين موسى لام الملك وأقام محمداً مقامه في الملك

وقال تعالى لموسى﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾(طه: ٤١)وقال لمحمد﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ**﴾ (الفتح: ١) فكم بين من صنعه لنفسه وبين من جعله بدلاً من نفسه تفضلاً وتعظيماً، كم بين من فصل مدحه من وصفه وبين من وصل مدحه بوصفه، فقال تعالى في الفصل: ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾(طه: ٣٩)وقال في الوصل: ﴿**لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**﴾(الفتح: ٩)وقال في مثله: ﴿**وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ**﴾(التوبة: ٦٢)[1]

فكل هذه الآيات تدل علي أن سيدنا محمد(صلى الله عليه وسلم) كان في مقام التمكين وأن سيدنا موسى (عليه السلام) كان في مقام التلوين.

(١) أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)- قوت القلوب "مرجع سابق" ج٢ص ١٠٨ -١٠٩.

المطلب الثالث: سيدنا موسي (عليه السلام) بين التلوين والتمكين

عدد العلماء لسيدنا موسي (عليه السلام) موقفين كانا فيهما بين مقامي التلوين والتمكين

الموقف الأول: هو موقف سيدنا موسي من معجزة انقلاب العصا حية، ويتضح ذلك في قوله جل ذكره: ﴿**قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى** ﴾(طه: ١٩- ٢١)لا عبرة بما يوهم ظاهر الأشياء فقد يوهم الظاهر بشيء ثم يبدو خلافه فى المستقبل فعصا موسى صارت حية.

ثم قال المقصود بذلك أن تكون لك آية ومعجزة لا بلاء وفتنة.

قوله: ﴿**قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ**... ﴾ أشهده- بانقلاب العصا من حال إلى حال مرة عصا ثم ثعبانا ثم عصا مرة أخرى- أنّه يثبّت عباده فى حال التلوين مرة ومرة فمن أخذ ومن ردّ، ومن جمع ومن فرق إلخ(١).

"فلما تمكّن من اليقين، وحصل على غاية التمكين، قيل له: خذها ولا تخف منها، حيث رفضت الأسباب، وعرفت مسبب الأسباب، فاستوى عندك وجودها وعدمها، ومنعها وإعطاؤها، سنعيدها سيرتها الأولى، تأخذ منها مأربك، وتخدمك ولا تخدمها"(٢)

فالعبرة هنا من انقلاب العصا حية ثم عصا مرة أخري هو بيان مقام التلوين الذي اختص الله به عباده، ثم إظهار مقام التمكين لمن مكنه الله وتولي أمره والمقصود هنا هو سيدنا موسي(عليه السلام)

ليس إلقاء العصا لتوضيح مقام التلوين، وإنما أيضا لبيان أن الوصول إلي مقام التمكين يتطلب التخلص من الآلات وكل ما يحول بينها وبين البقاء مع الذات.

---

(١) انظر: القشيري-لطائف الإشارات "مرجع سابق" ج٢ ص ٤٥٢، تفسير الملا علي القارئ "مرجع سابق "ج٣ ص ٢٦٩.

(٢) ابن عجيبة -البحر المديد في تفسير القرآن المجيد "مرجع سابق ج٣ ص ٣٨٢.

يقول الهجويري(ت٤٦٥هـ): " والآلة في الحضرة آفة والأدوات غيبة وعلة... وقد أمر الحق تعالى موسى صلوات الله عليه بهذا أيضا، إذ لما وصل الى محل التمكين بقطع المنازل وعبور المقامات، سقطت عنه أسباب التلوين، قال تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ (طه: ١٢)﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾(النمل: ١٠)لأنهما آلة المسافة، وآلة المسافة محال في حضرة الوصلة، لبداية المحبة الطلب، وانتهاؤها الاستقرار"(١).

قال ابن عطاء(ت ٣٠٩هـ)في تفسير قوله تعالي: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ (طه: ١٢): "اخلع نعليك أعرض بقلبك عن الكون فلا تنظر إليه بعد هذا الخطاب"(٢)أي: "انزع عنك قوة الاتصال والانفصال إنك بالواد المقدس أي: بواد الانفراد معي ليس معك أحد سواي"(٣)

وقال الشبلي(ت ٣٠٤هـ): "اخلع الكل منك تصل إلينا بالكل، فتكون ولا تكون، فتحقق في عين الجمع بكون أخبارك عنا، وفعلك فعلنا"(٤)

والهدف هو كما قال تعالي: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ (طه: ٢٣): "فالآية الكبرى هي ما كان يجده في نفسه من الشهود والوجود شوقا وما لا يكون بتكلف العبد وتصرفه من فنون الأحوال التي يدركها صاحبها ذوقا"(٥)

الموقف الثاني:

هو طلب سيدنا موسي من ربه أن يشد أزره بأخيه هارون –عليهما السلام– قال تعالي: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾(الشعراء: ١٣)

جاء في تفسير(روح البيان): "واعلم أن التكذيب سبب لضيق القلب، وضيق القلب سبب لتعسر الكلام على من يكون في لسانه حبسة، لأنه عند ضيق القلب ينقبض الروح

---

(١) الهجويري –كشف المحجوب –"مرجع سابق" ج٢ ص ٦١٧

(٢) تفسير السلمي –حقائق التفسير "مرجع سابق" ص ٤٣٦.

(٣) تفسير السلمي –حقائق التفسير "مرجع سابق" ص ٤٣٧.

(٤) تفسير السلمي –حقائق التفسير "مرجع سابق" ص ٤٣٦.

(٥) تفسير الملا علي القاري "مرجع سابق" ج٣ ص ٢٦٩.

والحرارة الغريزية الى باطن القلب، وإذا انقبضا الى الداخل ازدادت الحبسة في اللسان فلهذا بدأ (عليه السلام) بخوف التكذيب ثم ثنى بضيق الصدر ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان وسأل تشريك أخيه هارون فانه لو لم يشرك به في الأمر لاختلفت المصلحة المطلوبة من بعثة موسى... "(١)

ونقل أبو علي الملا القاري(ت١٠١٤هـ)في تفسيره: " رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي "حتي لا أشاهد غيرك، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي حتي لا أنطق إلا بمعرفتك، وَاحْلُلْ عُقْدَةً الإنسانية مِنْ لِسَانِي حتي لا أتكلم إلا بما أتلقنه منك"(٢).

قال ابن عطاء(ت٣٠٩هـ): " اشْرَحْ لِي صَدْرِي بنور القربة وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي أي عقدة الإنسانية حتي يكون كلامي عنك وبك"(٣)

فسؤال موسي من ربه شرح صدره وتيسير أمره وإطلاق لسانه ومؤازرة أخيه في بيانه ولم يسأل ضعفا من التبليغ والتبيين، فإن الله تعالي أيده بالثبات والتمكين ولكنه (عليه السلام) وقف مقام الحق بين يدي الحق وسأل بلسان الحق لما قد سبق به من علم الحق إلي الخلق(٤)

" وحقيقته أن موسى(عليه السلام) اظهر التلوين من نفسه ليجد التمكين من ربه وقد آمنه الله وأزال عنه كل كلفة حيث قالَ تعالى **كَلَّا** أي ارتدع عما تظن فانهم لا يقدرون على قتلك به لأنى لا اسلطهم عليك بل اسلطك عليهم... "(٥)

---

(١) إسماعيل حقي (المتوفى: ١١٢٧هـ) روح البيان "مرجع سابق" ج ٦ ص ٢٦٦.

(٢) تفسير الملا القارئ "مرجع سابق" ج٣ ص ٢٧٠

(٣) تفسير السلمي –حقائق التفسير "مرجع سابق" ص ٤٤٢، تفسير الملا القارئ "مرجع سابق" ج٣ ص ٢٧٠

(٤) انظر: تفسير الملا القارئ "مرجع سابق" ج٣ ص ٢٧٠ –٢٧١.

(٥) إسماعيل حقي (المتوفى: ١١٢٧هـ) روح البيان "مرجع سابق "ج ٦ ص ٢٦٦

المطلب الرابع: حال النسوة وامرأة العزيز من سيدنا يوسف(عليه السلام) بين التلوين والتمكين

قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(يوسف: ٣٠-٣١)

يشبه الإمام القشيري(ت٤٦٥هـ): صاحب التلوين وصاحب التمكين بما يستشهد به بحال النسوة اللاتي رأينا يوسف(عليه السلام) فقطعن أيديهن لما ورد عليهن من شهود، ثم حال امرأة العزيز التي كانت في كمال الحب ليوسف منهن، ولكنها لم تتغير شعرة في ذلك اليوم لأنها كانت صاحبة تمكين بخلافهن، إذ كان حالهن التلوين[١]

فالنسوة حالهن (تلوين) لما رأيناه أكبرنه وقطعن أيديهن، وقلن، ما قلن، لأنهن لم يكن في حبه مقام تمكين، وامرأة العزيز كانت بيوسف أتم بلاء منهن، ولم يجد عليها ذلك اليوم شيء مما جري علي النسوة، لكونها صاحبة تمكين في حبه[٢]

فالنسوة قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ لدهشتهن والمدهوش لا يدرك ما يفعل ولم تقطع زليخا يديها؛ لأن حالها انتهي إلى التمكين في المحبة كاهل النهايات وحال النسوة كانت فى مقام التلوين كاهل البدايات فلكل مقام تلون وتمكن وبداية ونهاية

فيوسف خرج بغتة على النسوة فقطعن أيديهن لما أصابهن من الحيرة لشهود جماله والغيبة عن اوصافهن كما قيل

غابت صفات القاطعات اكفها ... في شاهد هو في البرية أبدع

ولا شك أن زليخا كانت ابلغ في محبته منهن لكنها لم تغب عن التمييز بشهود جماله لتمكن حال الشهود في قلبها[٣]

---

(١) انظر: الإمام القشيري –الرسالة القشيرية "مرجع سابق ص ١٨٩-١٩٠، د/ حسن الشرقاوي – معجم ألفاظ الصوفية "مرجع سابق " ص ٨٨.

(٢) انظر: د/سعاد الحكيم –المعجم الصوفي "مرجع سابق" هامش ص١٠٠٧

(٣) انظر: إسماعيل حقي "مرجع سابق"–روح البيان ج٤ ص ٢٤٧.

"وكن صواحباتُها أصحاب تلوين، فلذلك لم يُطقن الثبوت عند تجلي جمال يوسف (عليه السلام) بل ذهلن بمشاهدته حتي أثر فيهن الحال، وأخرجهن عن طور الإحساس، واعتراهن الالتباس حتي قلن: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف: ٣١)وقطعن أيديهن ولم يشعرن، وأما زليخا فلتمكنها من حالها ما تغير عليه الحال، ولا أثر ذلك فيها، لأنها لم تزل في مشاهدة يوسف حاضرة معه"(١)

قال أبو نصر البقلي (ت ٦٠٦هـ): "لما رأين في وجهه نور هيبة الله فذهلن في وجه يوسف، فسقطن عن التمكين والعقل وفعلن أفعالا مجهولة... ويمكن أن زليخا كانت محل التمكين، وهن في محل التلوين، لذلك استقامت في رؤيته، ولم يحل أيضا مما رأين من يوسف من النور والعظمة، لكن غلب عليها مقام مشاهدة الحسن والجمال، لبقائها في مكان الابتلاء ارتفعت عنهن في رؤية يوسف الشهوة والبشرية، لغلبة أنوار العظمة والهيبة، فلا جرم ما شعرن آلام قطع أيديهن، ولو قرض نملة زليخا لشعرت بذلك، لأنها في لطافة العشق، وما أطاقت من لطف حالها أن تحمل ألما غير ألم العشق، وهذا كمال في أنس المعشوق، ولا يعلم ذلك إلا ذو عشق كامل"(٢)

مما سبق نستطيع أن نقول: إن امرأة العزيز كانت أتم في حديث يوسف من النسوة فأثر رؤيته فيهن، ولم يؤثر فيها، لأنها بطول اللقاء قوي حالها، فصارت رؤية يوسف لها غذاء معتادًا بها فلم يؤثر فيها، والتعبير صفة أهل الابتداء في الأمر فإذا دام المعني نال التغير(٣).

(١) عز الدين المقدسي ت ٦٧٨هـ –حل الرموز "مرجع سابق" ص ١٠٥–١٠٦

(٢) أبو محمد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر البقلي ت ٦٠٦هـ – عرائس البيان في حقائق القرآن – تحقيق /أحمد فريد المزيدي –دار الكتب العلمية ببيروت للنشر –الطبعة الأولي ٢٠٠٨م – ١٤٢٩هـ –ج٢ ص ١٦٨– ١٦٩.

(٣) انظر: تفسير الملا علي القارئ "مرجع سابق "ج٢ ص ٤٨٨–٤٨٩

المطلب الخامس: النفس الإنسانية بين التلوين والتمكين

الناظر في القرآن الكريم يجد أن النفس الإنسانية يتراوح حالها ما بين التلوين والتمكين فمثلا في قول الله تعالي حكاية عن سيدنا زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (آل عمران: ٤٠)

"ففي هذه الآية سيدنا زكريا –وهو الطالب – يصيبه التعجب من الاستجابة فيتساءل: كيف يكون ذلك؟ والحق يورد ذلك ليعلمنا أن النفس البشرية دائما تكون في دائرات التلوين، وليست في دائرات التمكين، وذلك ليعطي الله لخلقه الذين لا يهتدون إلى الصراط المستقيم الأسوة في أنه إذا ما حدث له ابتلاء فعليه الرجوع إلى الله"(١)

في حين نجد في مواضع آخري أن النفس المطمئنة مقامها التمكين توضيح ذلك:

جاء في تفسير قوله تعالي ﴿ يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾(الفجر: ٢٧): " لما ذكر شقاوة النفس الآمارة، شرع في بيان سعادة النفس المطمئنة، والاطمئنان السكون بعد الإزعاج، وسكون النفس إنما هو بالوصول الى غاية الغايات في اليقين والمعرفة والشهود وفى قوله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(الرعد: ٢٨) تنبيه على أنه بمعرفته تعالى والإكثار من عبادته يكتسب اطمئنان النفس، وإذا وصلت الى مقام الاطمئنان بذكر الله صار صاحبها في مقام التلوين في التمكين آمنا من الرجوع الى الاحكام الطبيعية والآثار البشرية، فإن الفاني لا يرد إلى أوصافه فمن كان متمكنا في مقام الترقي تخلص من التنزل إلى مقام النفس الآمارة وفى التعريفات: النفس المطمئنة هى التي تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفاتها الذميمة وتحلت بالأخلاق الحميدة"(٢)

(١) محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)– تفسير الشعراوي – الخواطر– مطابع أخبار اليوم نشر عام ١٩٩٧م ج٣ ص ١٤٤٧.

(٢) إسماعيل حقي ت ١١٢٧هـ – روح البيان "مرجع سابق " ج١٠ ص٤٣١–٤٣٢.

جاء في تفسير الجيلاني(ت٧١٣هـ) لقوله تعالي﴿**يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**﴾ (الفجر: ٢٧) "المتقررة المتمكنة بمقام الرضا والتسليم"[١]

والدليل علي أن النفس المطمئنة في مقام التمكين ما جاء في تفسير قول الله تعالي: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ**﴾ (يوسف: ٢٤)همت به هَمَّ إرادة، وهَمَّ بها هَمَّ ميل لا هَمَّ إرادة... وفيه نظر لأن ذلك لا يتصور في النفوس المطمئنة. وإنما ذلك شأن أرباب التلوين والمجاهدة، دون أهل التمكين والمشاهدة، وخصوصاً الأنبياء إذ صارت نفوسهم مشاكلة للروح، مندرجة فيها، ولذلك صارت مطمئنة، وميلها حينئذ إنما يكون للطاعة، وأما غير الطاعة، فهي بمنزلة القذر والنتن تشمئز منه، ولا يتصور بحال ميلها إليه[٢]

قال ابن عطاء(ت٣٠٩هـ): "المطمئنة هي العارفة بالله التي لا تصبر عن الله طرفة عين"[٣]

مما سبق نستطيع أن نقول: إن كل النفوس الإنسانية في مقام التلوين ما عدا النفس المطمئنة فإنها في مقام التمكين.

(١) تفسير الجيلاني " ج٥ "مرجع سابق " ص ٤٢٣، قارن: نعمة الله بن محمود النحجواني – الفواتح الإلهية تفسير الفواتح الإلهية "مرجع سابق "ج٢ ص ٥٠٩.

(٢) انظر: ابن عجيبة ت ١٢٢٤هـ– البحر المديد في تفسير القرآن المجيد "مرجع سابق" ج٢ ص ٥٨٨، تفسير الملا علي القاري "مرجع سابق" ج٥ ص ٣٢٠.

(٣) أبو عبد الرحمن السلمي – حقائق التفسير "مرجع سابق " ج٢ ص ٣٩٥، أبي نصر البقلي ت ٦٠٦هـ – عرائس البيان في حقائق القرآن "مرجع سابق" ج٣ ص ٥٠٦.

المطلب السادس: الشمس والقمر و حالهما بين التلوين والتمكين

قال الله تعالي: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ *وَالْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ*لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(يس: ٣٨-٤٠)

ففي هذه الآيات إشارة إلي أن العبد في أوان الطلب رقيق الحال، ضعيف، مختصر الفهم.. ثم يفكّر حتى تزداد بصيرته... إنه كالقمر يصير كاملا، ثم يتناقص، ويدنو من الشمس قليلا قليلا، وكلّما ازداد من الشمس دنوّا ازداد في نفسه نقصانا حتى يتلاشى ويختفى ولا يرى... ثم يبعد عن الشمس فلا يزال يتباعد ويتباعد حتى يعود بدرا- من الذي يصرّفه في ذلك إلّا أنه تقدير العزيز العليم؟

وشبيه الشمس عارف أبدا في ضياء معرفته، صاحب تمكين غير متلوّن، يشرق من برج سعادته دائما، لا يأخذه كسوف، ولا يستره سحاب.

وشبيه القمر عبد تتلون أحواله في تنقله فهو في حال من البسط يترقّى إلى حدّ الوصال، ثم يردّ إلى الفترة، ويقع في القبض مما كان به من صفاء الحال، فيتناقص، ويرجع إلى نقصان أمره إلى أن يرفع قلبه عن وقته، ثم يجود الحقّ- سبحانه- فيوفّقه لرجوعه عن فترته وإفاقته عن سكرته، فلا يزال يصفو حاله إلى أن يقرب من الوصال، ويرزق صفة الكمال، ثم بعد ذلك يأخذ في النقص والزوال.. كذلك حاله إلى أن يحقّ له بالمقسوم ارتحاله، كما قالوا:

ما كنت أشكو ما على بدني من كثرة التلوين من بدّته

وأنشدوا:

كـــلّ يـــوم تـــتـــلـــون غـــير هـــذا بـــك أجمـــل[1]

نفس التشبيه في قوله تعالي: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً**﴾(الأسراء: ١٢)وهو اختلاف أحوال القمر في إشراقه ومحاقه، فلا يبقى ليلتين على حال واحدة، بل هو في كل ليلة في منزل آخر، إما بزيادة أو بنقصان.

وأمّا الشمس فحالها الدوام.. والناس كذلك أوصافهم فأرباب التمكين الدوام شرطهم، وأصحاب التلوين التنقل حقّهم، قال قائلهم:

ما زلت أنزل من ودادك منزلا... تتحير الألباب دون نزوله[2]

فأهل التمكين كالشمس في ثباتها، وأهل التلوين كالقمر في تدرجه وتغير أحواله[3].

(١) انظر: القشيري –لطائف الإشارات "مرجع سابق "ج ٣ص ٢١٧–٢١٨. قارن: تفسير الجيلاني "مرجع سابق "ج٤ هامش ص ١٧٩، نجم الدين الكبري ت ٦١٨هـ– التأويلات النجمية "مرجع سابق" ج٥ ص ١٤٤، أبي نصر البقلي ت ٦٠٦هـ عرائس البيان "مرجع سابق "ج٣ ص ١٧٠، تفسير الملا علي القارئ "مرجع سابق "ج٤ ص ٢٧٥.

(٢) انظر: القشيري– لطائف الإشارات "مرجع سابق "ج٢ ص ٢٣٩،

(٣) انظر: القشيري– لطائف الإشارات "مرجع سابق " هامش ج٢ ص ٥٠١

المطلب السابع: سفينة سيدنا نوح (عليه السلام) بين التلوين والتمكين

قال تعالي: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَ يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(هود: ٤٤)

والمعني: "وَقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ، أي يا أرض البشرية ابلعي ماء شهواتك، و يا سماء القضاء أقلعي عن إنزال مطر الآفات وَغِيضَ الْماءُ ماء الفتن أي نقصت ظلمتها بنور الشرع وسكنت ثورتها، وَقُضِيَ الْأَمْرُ أي انقضى ما كان مقدرا من طوفان الفتن للابتلاء، وَاسْتَوَتْ أي سفينة الشريعة عَلَى الْجُودِيِّ، وهو مقام التمكين يعنى أيام الطوفان كانت من مقامات التلوين فى معرض الآفات والهلاك، فلما مضت تلك الأيام آل الأمر الى مقام التمكين وفيه النجاة والثبات ونيل الدرجات، وَقِيلَ بُعْداً أي غرقة وهلاكا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم بالتقاعد عن ركوب سفينة الشريعة"[١]

أو بتعبير أبي نصر البقلي (ت ٦٠٦هـ) أنه: " جري عليها أحكام معارف الذات والصفات، وغرق منها ما دون الذات والصفات في الذات والصفات من النفوس، وهواجسها والشياطين ووساوسها، والعقول ومراتب مقاماتها، والكونين والعالمين واستوائها بنعت التمكين علي جودي الطريق، والحقيقة أن تكون ساكنة بعد الاضطراب في المواجيد، وصاحية بعد السكر بأشربة بحار المقادير"[٢]

---

(١) إسماعيل حقي ت ١١٢٧هـ –روح البيان "مرجع سابق" ج٤ص ١٣٨، قارن: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)غرائب القرآن ورغائب الفرقان –المحقق: الشيخ زكريا عميرات –الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت –الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ج٤ ص ٢٩، نجم الدين الكبري ت ٦١٨هـ– التأويلات النجمية "مرجع سابق" ج٣ ص ٢٧٦.

(٢) أبو نصر البقلي ت ٦٠٦هـ – عرائس البيان" مرجع سابق" ج٢ ص ١٢٠.

المطلب الثامن: بعض آيات الحج بين التلوين والتمكين

أولا: الطائفون والعاكفون بين التلوين والتمكين

قوله جل ذكره: ﴿وَعَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(البقرة: ١٢٥)

"الأمر في الظاهر بتطهير البيت، والإشارة من الآية إلى تطهير القلب.

وتطهير البيت بصونه عن الأدناس والأوضار، وتطهير القلب بحفظه عن ملاحظة الأجناس والأغيار.

وطواف الحجاج حول البيت معلوم بلسان الشرع، وطواف المعاني معلوم لأهل الحق فقلوب العارفين المعاني فيها طائفة، وقلوب الموحّدين الحقائق فيها عاكفة، فهؤلاء أصحاب التلوين وهؤلاء أرباب التمكين"(١)

... أما الطائفون: فواردات الحق و إلهاماته وإشاراته ومحادثاته ولوامع أنواره وطوالع أسراره ووفور مواهبه فجملتها بلسان قوم الأحوال، وهي التي تطوف حول القلوب المطهرة من الملوثات السليمة من الآفات، وأما العاكفون فأنوار معرفته و محبته وحقائق صفاته و أخلاقه فجملتها المقام، فالأحوال تكون لأصحاب التلوين، ولأرباب التمكين والمقام ولا يكون إلا لأرباب التمكين(٢)

فطواف المعاني في القلوب يكون لأصحاب التلوين، وعكوف الحقائق في القلوب يكون لأرباب التمكين.

---

(١) القشيري –لطائف الإشارات "مرجع سابق" ج١ ص١٢٣–١٢٤، تفسير الملا علي القاري "مرجع سابق" ج١ ص ١١٩.

(٢) انظر: تفسير الجيلاني "مرجع سابق" ج١ هامش ص ١٥٤، نجم الدين الكبري ت ٦١٨هـ – التأويلات النجمية "مرجع سابق "ج١ ص ٢١٢

ثانيا: اختلاف الأهلة بين التلوين والتمكين

يقول الله تعالي: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾(البقرة: ١٨٩)

أي: يسألونك عن حكمة اختلاف الأهلة بالزيادة والنقص، قُلْ لهم يا محمد: هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ يُوقِّتُون بها دُيونهم، ويعرفون بها أوقات زَرْعهم، وعِدَدَ نسائهم وصيامهم. وهي أيضاً مواقيتُ للحج، يعرفون بذلك وقت دخوله وخروجه، فيعرفون الأداء من القضاء، فلو كانت على حالة واحدة لم يعرفوا ذلك. أجابهم الحق تعالى بغير ما ينتظرون إشارة إلى أن السؤال عن سر الاختلاف، ليس فيه منفعة شرعية، وإنما ينبغي الاهتمام بما فيه منفعة دينية...

وعند أهل الإشارة: إذا ظهر هلال السعادة في أفق الإرادة، وهبَّت ريح الهداية من ناحية سابق العناية، دخل وقت حج القلوب إلى حضرة علام الغيوب، فهلال الهداية للسائرين، وهم أرباب الأحوال أهل التلوين، يزداد نوره بزيادة اليقين، وينقص بنقصانه، على حسب ضعف حاله وقوته، حتى يتحقق الوصال، ويُرزق صفة الكمال وأنشدوا:

كُـلَّ يـومٍ تَـتَـلَـوَّنْ غـيرُ هـذا بِـكَ أَجْمَـلْ

فصاحب التلوين بين الزيادة والنقصان، إلى أن تطلع عليه شمس العرفان، فإذا طلعت شمس العرفان فليس بعدها زيادة ولا نقصان، وأنشدوا:

طَـلَـعَـتْ شمـسُ مَـنْ أُحِـبُّ بـلَـيْـلٍ واسـتضـاءتْ فَـمَـا تَـلاَهَـا غُـرُوبُ

إنَّ شَمْـسَ الـنَّـهـارِ تَـغْـربُ بالـلـيـل وشَمْـسَ الـقُـلـوب لَـيْسَـتْ تَـغـيـبُ

بخلاف صاحب التمكين فإنه أبداً في ضياء معرفته، متمكن في بُرج سعادته، لا يلحق شمسَه كسوف ولا حجابٌ، ولا يستر نورَها ظلمةٌ ولا سحاب، فلو طلب الحجاب لم يُجَبْ. قال بعض العارفين: "لو كُلفت أن أرى غيره لم أستطع، فإنه لا غير معه حتى أشهده"(١).

(١) ابن عجيبة ت ١٢٢٤هـ- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد "مرجع سابق" ج١ ص٢٢٠

فالأهلة هنا كما في التفسير الإشاري نوعان: هلال الهداية وهو للسائرين، وهم أرباب الأحوال أهل التلوين، يزداد نوره بزيادة اليقين، وينقص بنقصانه

وهلال السعادة: وهو لصاحب التمكين، المتمكن في برج سعادته، لا يلحق شمسه كسوف ولا حجاب، ولا يستر نوره ظلمة ولا سحاب.

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، سبحانه لا إله إلا هو، نحمده ونشكره ونشهد أنه لا إله إلا هو (ﷻ) ونشهد أن سيدنا محمد (ﷺ) عبده ورسوله – الذي أبان به الحق، وهدي إلي صراط مستقيم – اللهم صل وسلم علي خير الخلق وسيد المرسلين، وعلي آله وصحابته، ومن اهتدي بهديه إلي يوم الدين...، وبعد

فبعد توفيق الله وفضله علي من إتمام كتابة بحثي هذا، سأذكر أهم النتائج المستخلصة منه

أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث

أولا: يندرج التفسير الإشاري تحت منهج التفسير بالرأي المحمود، وذلك لأنه لا يتنافى مع مقتضي اللغة، ولا لظاهر النظم القرآني الكريم، لأن النصوص القرآنية عند السادة الصوفية علي ظاهرها ولكنها في الوقت ذاته تحوي إشارات خفية إلي دقائق تتكشف علي أرباب السلوك.

ثانيا: لم تتفق رؤية السادة الصوفية في مصطلحي التلوين والتمكين، في كونهما حالين أو مقامين أو وصفين يشيران إلي حالين، أم أنهما من الألفاظ الدقيقة القريبة في المعني من الحال والمقام.

ثالثا: التلوين والتمكين من المصطلحات الصوفية التي يقترب معناها اللغوي من المعني الاصطلاحي، فإذا كان التلوين لغويا يشير إلي عدم الثبات والتغير، فكذلك المعني الاصطلاحي يدور حول تلون العبد في أحواله بمعني أن السالك يتغير من حال إلي حال فيتلون قلبه بتغير الأحوال، كذلك الأمر بالنسبة للتمكين فإذا كان في اللغة يشير إلي الثبات والاستقرار، فكذلك معناه الاصطلاحي الذي يعني مقام الاستقامة والثبات علي الصراط المستقيم.

رابعا: يتفرق صاحب التلوين عن صاحب التمكين، في أن صاحب التلوين يتلون ويتبدل في طلب الصراط المستقيم فهو قابل للزيادة والنقصان، بخلاف صاحب التمكين

فهو وصل ثم أتصل، فهو آمن من النقص متمكن من حاله بحسب ما يستحق من الحق لا يرده الحق إلي نفسه.

خامسا: إذا كان المقام والتمكين يتفقان في المعني اللغوي وهو الاستقرار والثبات، إلا أنهما يختلفان في ناحيتين: –

الناحية الأولي: أن أهل المقامات يمكنهم العبور من مقاماتهم إلي مقامات أخري لأنهم في درجة المبتدئين، بخلاف أهل التمكين فهم مستقر المنتهين فلا عبور لديهم ولا تجاوز، فهم النهاية والمستقر

الناحية الثانية: لا بد لأصحاب المقام من الآلات والأدوات وهم في طريقهم حتي يرتقوا من مقام إلي مقام، بخلاف أهل التمكين فإذا ما وصلوا تخلصوا من الآلات والأدوات لأنها في الحضرة آفات ولا جدوي من وجودها.

سادسا: تتفق المحاضرة مع التلوين في أنهما لأصحاب البدايات، وتتفق المشاهدة مع التمكين في أنهما لأرباب النهايات.

سابعا: إذا كان التلوين عند السابقين عن ابن عربي(ت٦٣٨هـ)، مقام ناقص، فإنه عند ابن عربي هو أكمل المقامات وحال العبد فيه هو حال قوله تعالي ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾(الرحمن: ٢٩) والمعني به التلوين بعد التمكين أي يتلون العارف مع المقادير وتقلبات الأحوال غير أنه مالك غير مملوك، لا يتغير بتغير الأحوال ولا يتأثر بالزلازل و الأهوال.

ثامنا: التلوين في التمكين عند ابن عربي هو مقام جمع الجمع ويسمي الفرق بعد الجمع وهو الاستهلاك بالكلية في الله عند رؤية الجمال، أي الفناء عما سوي الله، لذا كان التلوين في التمكين لديه هو أكمل المقامات لأنه نهاية التمكين.

تاسعا: إذا كان صاحب "السكر" لا يدوم حاله لاستيلاء سلطان الحال عليه، لذا فهو يشابه التلوين فكلاهما لأرباب القلوب، بخلاف صاحب "الصحو" فهو في مقام المنتهي الذي يتفق مع التمكين فكلاهما للمكاشفين بحقائق الغيوب.

عاشرًا: إذا كان الله تعالي خص الأنبياء بمقام التمكين لصبرهم علي شدة ابتلاءهم، إلا أن أخصهم درجة وأرفعهم منزلا كان لسيد الأنبياء سيدنا محمد(ﷺ) مصداقا لقوله

تعالي: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾(الأسراء: ٧٩)لأن كل من وصل إليه يحمد له، إذ لا مقام أرفع منه درجة، أو أعلي منه رتبة.

الحادي عشر: كان سيدنا موسي (عليه السلام) متلونا إذ رجع من حضرة المناجاة والكلام مع ربه حتي ذهب وعيه، وكان سيدنا محمد(ﷺ)متمكنا، لأنه رجع من حضرة المشاهدة في ليلة المعراج كما ذهب، فمكن لقوة حاله وعلو مقامه، وثبات بقائه في حال لقائه.

الثاني عشر: إذا كان سيدنا موسي (عليه السلام) صاحب تلوين عندما رجع من مناجاة ربه، كذلك له موقفين كان فيهما (عليه السلام)بين التلوين والتمكين.

أولهما: طلب الله من موسي إلقاء العصا و انقلابها من حال إلي حال وهذا هو حال التلوين، فلما مكنه الله باليقين بقوله "خذها و لا تخف" وتخلص موسي من الالآت وكل ما يحول بينه وبين البقاء مع الذات، هنا حصل موسي علي غاية التمكين.

ثانيهما: أظهر موسي التلوين من نفسه عندما طلب من ربه أن يشد أزره بأخيه، ليجد التمكين من ربه، وقد شد أزره وأزال عنه كل كلفة وايده بالثبات والتمكين.

الثالث عشر: كان التلوين هو حال النسوة عندما خرج عليهن سيدنا يوسف، لأنهن لم يطقن الثبوت عند تجلي جمال يوسف بل ذهلن بمشاهدته فقطعن أيديهن وغبن عن أوصافهن، أما زليخا فلما كانت أبلغ في محبته منهن، فلم تغب عن التمييز بشهود جماله، لأنها بطول اللقاء قوي حالها، فحالها هو حال التمكين.

الرابع عشر: النفوس الإنسانية لتقلب أحوالها وعدم ثباتها فهي دائما في دائرات التلوين، حتي يتسني لها الرجوع إلي الله إذا ما حدث لها ابتلاء، ويستثني من النفوس، النفس المطمئنة فإن صاحبها في مقام التمكين آمنا من الرجوع إلي الأحكام الطبيعية والآثار البشرية.

الخامس عشر: الشمس والقمر في التفسير الإشاري يشيران إلي التمكين والتلوين، فالعارف المتمكن مثله مثل الشمس في بقائها وداومها لا يأخذها كسوف ولا يسترها سحاب، أما العبد المتلون مثله مثل القمر ينتقل في أطواره ويتغير في أحواله ما بين الزيادة و النقصان.

السادس عشر: سفينة سيدنا (عليه السلام) أيام الطوفان كانت من مقامات التلوين في معرض الآفات والهلاك، فلما مضت تلك الأيام واستوت علي الجودي آل الأمر إلي مقام التمكين الذي فيه الثبات والنجاة ونيل أعلي الدرجات.

السابع عشر: أمر الله في ظاهر آياته بتطهير بيته، والإشارة إلي تطهير القلوب، فقلوب العارفين المعاني فيها طائفة فهؤلاء هم أصحاب التلوين، أما قلوب الموحدين فالحقائق فيها عاكفة وهؤلاء أرباب التمكين.

الثامن عشر: إذا كانت الأهلة تشير في الظاهر إلي مواقيت للناس والحج، إلا إن الإشارة تفيد أن الأهلة نوعان، هلال الهداية وهو يزداد نوره بزيادة اليقين، وينقص بنقصانه، فهو إذن هلال السائرين وهم أرباب الأحوال "أهل التلوين".

وهلال السعادة: وهو لصاحب التمكين لا يلحق شمسه كسوف، ولا حجاب ولا يستر نوره ظلمة ولا سحاب.

هذه بعض النتائج أما بعض التوصيات فأجملها في الآتي

أولا: عقد كثير من الندوات لشرح المصطلحات الصوفية لوعورة فهمها وصعوبة إدراك مراميها، حتي يتسني علي أهل التخصص الوقوف ولو علي جزء يسير من الفهم.

ثانيا: توجيه الباحثين إلي التفسير الإشاري، لاستخراج كنوزه المعرفية وخفاياه اللدنية، لتعميق أن كلماته تعالي لا تنفد في فهمهما و اعجازها، وأن التصوف الإسلامي أصيل في منهجه.

قائمة المصادر والمراجع[1]

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر والمراجع

١. ابن عطاء الله السكندري(ت ٧٠٩هـ)- لطائف المنن- تحقيق وتعليق الإمام الدكتور/ عبد الحليم محمود –الطبعة الثالثة – دار المعارف بالقاهرة للنشر.

٢. أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري(ت٤٦٥هـ)- كشف المحجوب –ج٢ – تحقيق/إسعاد عبد الهادي قنديل–مراجعة وتقديم/بديع جمعة–المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة للنشر–إصدارات المشروع القومي للترجمة إشراف /جابر عصفور- طبعة ٢٠٠٧م.

٣. أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت١٢٢٤هـ)البحر المديد في تفسير القرآن المجيد –المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان–الناشر: الدكتور حسن عباس زكي– القاهرة الطبعة: ١٤١٩ هـ

٤. أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت١٢٢٤هـ)–معراج التشوف إلي حقائق التصوف ويليه كتاب كشف النقاب عن سر لب الألباب- تقديم تعليق/د عبد المجيد خيالي – مركز التراث الثقافي المغربي –بالدار البيضاء.

٥. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى(ت ٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية–دمشق بيروت –الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

(١) رتبت قائمة المصادر والمراجع وفقا للترتيب الهجائي باسم المؤلف

٦. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)- إحياء علوم الدين – الناشر: دار المعرفة – بيروت

٧. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ) كتاب العين-المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي – الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٨. أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسي الأزدي السلمي (ت ٤١٢هـ) – حقائق التفسير (التفسير القرآن الكريم)تحقيق/سيد عمران-دار الكتب العلمية ببيروت – الطبعة الأولي ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٩. أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسي الأزدي السلمي (ت ٤١٢هـ)- طبقات الصوفية- المحقق: مصطفى عبد القادر عطا-الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

١٠. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل-المحقق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة -الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م.

١١. أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت ٢٨٣هـ) تفسير التستري-جمعها: أبو بكر محمد البلدي -المحقق: محمد باسل عيون السود – الناشر: منشورات محمد علي بيضون /دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

١٢. أبو محمد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر البقلي (ت ٦٠٦هـ)- عرائس البيان في حقائق القرآن – تحقيق /أحمد فريد المزيدي -دار الكتب العلمية ببيروت للنشر -الطبعة الأولي ٢٠٠٨م -١٤٢٩هـ.

١٣. أبو نصر السراج الطوسي(ت٣٧٨هـ)–اللمع– حققه قدم له وأخرج أحاديثه/ د عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور – لجنة نشر التراث الصوفي – دار الكتب الحديثة بمصر للطبع النشر – طبعة ١٣٨٠هـ– ١٩٦٠م.

١٤. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو٣٩٥هـ) الفروق اللغوية –حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

١٥. أحمد النقشبندي الخالدي –جامع الأصول في الأولياء (٢–الطرق الصوفية) – تحقيق/ اديب نصر الله –مؤسسة الانتشار العربي ببيروت للنشر – الطبعة الأولي ١٩٩٧م.

١٦. أحمد النقشبندي الخالدي– جامع الأصول في الأولياء(٣– معجم الكلمات الصوفية)–تحقيق/أديب نصر الدين –مؤسسة الانتشار العربي بيروت للنشر– الطبعة الأولي ١٩٩٧م.

١٧. أحمد بن عمر بن محمد نجم الدين الكبري (ت ٦١٨هـ)– التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي –ويليه /تتمتة عين الحياة –تأليف علاء الدولة أحمد بن محمد السمناني (ت ٧٣٦هـ)– تحقيق وتخريج وتعليق ودراسة /أحمد فريد المزيدي–دار الكتب العلمية ببيروت للنشر–الطبعة الأولي ٢٠٠٩م.

١٨. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل– معجم اللغة العربية المعاصرة–الناشر: عالم الكتب الطبعةالأولى١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م

١٩. إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ) روح البيان الناشر: دار الفكر – بيروت.

٢٠. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ذم الهوى –المحقق: مصطفى عبد الواحد–مراجعة: محمد الغزالي – بدون دار نشر أو تاريخ طبع.

٢١. حسن الشرقاوي – معجم ألفاظ الصوفية – مؤسسة مختار بالقاهرة للنشر– الطبعة الثانية ١٩٩٢م.

٢٢. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي(ت ١٣٩٦هـ)الأعلام الناشر: دار العلم للملايين–الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م

٢٣. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي(ت ٦٦٦هـ) مختار الصحاح –المحقق: يوسف الشيخ محمد –الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا–الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢٤. زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)التوقيف على مهمات التعاريف– الناشر: عالم الكتب –القاهرة الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

٢٥. سعاد الحكيم (استاذ التصوف في الجامعة اللبنانية) –المعجم الصوفي– الحكمة في حدود الكلمة –الطبعة الأولي ١٤٠١هـ–١٩٨١م –المؤسسة الجامعية ببيروت للنشر.

٢٦. سعيد حوي– تربيتنا الروحية، دار السلام –الطبعة السادسة ١٤١٩هـ.

٢٧. الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي(ت ٢٠٤هـ) تفسير الإمام الشافعي– جمع وتحقيق ودراسة: د/أحمد بن مصطفى الفرَّان(رسالة دكتوراه) الناشر: دار التدمرية –المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م.

٢٨. شايع بن عبده بن شايع الأسمري –مع الامام أبي إسحاق الشاطبي في مباحث من علوم القرآن الكريم وتفسيره –الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة– الطبعة: السنة ٣٤ العدد ١١٥–١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م.

٢٩. شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي (ت ٦٣٢هـ)- عوارف المعارف- ج٢ تحقيق / د عبدالحليم محمود، د محمود بن محمد الشريف – دار المعارف بالقاهرة للنشر.

٣٠. عبد الرازق الكاشاني (ت ٧٣٠هـ) –معجم اصطلاحات الصوفية – تحقيق وتقديم وتعليق د /عبد العال شاهين – دار المنار بالقاهرة للطبع – الطبعة الأولي – ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٣١. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)- الإتقان في علوم القرآن المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم –الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب –الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٣٢. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم–المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة / مصر–الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤ م.

٣٣. عبد الكريم الجيلي ت ٨٣٢هـ –شرح الإسفار عن رسالة الأنوار، طبع ونشر شيخ القادرية محمد رجب، دمشق، مطبعة الفيحاء ١٣٤٨هـ.

٣٤. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)–الرسالة القشيرية– تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف الناشر: دار المعارف، القاهرة

٣٥. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)- نحو القلوب الصغير والكبير – تحقيق/ أحمد علم الدين الجندي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – طبعة ٢٠٠٨م

٣٦. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)–لطائف الإشارات = تفسير القشيري– المحقق: إبراهيم البسيوني–الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر –الطبعة الثالثة.

٣٧. عدنان محمد زرزور–مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه –الناشر: دار القلم / دار الشامية – دمشق / بيروت –الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٣٨. عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي(ت ٦٧٨هـ)– حل الرموز ومفاتيح الكنوز (في شرح بعض المصطلحات والمفاهيم الصوفية المبهمة– تحقيق/د محمد بو خنيفي – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولي ٢٠١١م –١٤٣٢هـ.

٣٩. عز الدين محمود كاشاني – كشف الوجوه الغُرّ لمعاني نظم الدر (شرح تائية ابن فارض)–تصحيح وتحقيق /محمود بهجت–منشورات أيت إشراق قم ١٣٨٩هـ.

٤٠. علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري(ت ١٠١٤هـ)شرح الشفا–الناشر–دارالكتب العلمية بيروت–الطبعةالأولى١٤٢١هـ

٤١. علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)تفسير الملا علي القاري –المسمى "أنوار القرآن وأسرار الفرقان الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان –تحقيق د/ ناجي السويد –دار الكتب العلمية ببيروت للنشر– الطبعة الأولي ٢٠١٣م.

٤٢. علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري(ت ١٠١٤هـ) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٤٣. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)– كتاب التعريفات– المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر –الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان–الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

٤٤. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي – اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر– الناشر: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

في المملكة العربية السعودية برقم ٩٥١/ ٥ وتاريخ ١٤٠٦/٨/٥-الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٤٥. مجموعة من العلماء تحت إشراف وتقديم د /محمود حمدي زقزوق- موسوعة التصوف الإسلامي-الموسوعة الثامنة من سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة الصادرة من المجلس الأعلي للشئون الإسلامية لسنة ٢٠٠٩م.

٤٦. مجموعة من المؤلفين تحت إشراف د /محمود حمدي زقزوق - موسوعة التصوف الإسلامي -الموسوعة الثامنة من سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة الصادرة من المجلس الأعلي للشئون الإسلامية لسنة ٢٠٠٩م.

٤٧. محمد السيد حسين الذهبي (ت١٣٩٨هـ)- التفسير والمفسرون -الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

٤٨. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت٣٧٠هـ)- تهذيب اللغة- المحقق: محمد عوض مرعب -الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٤٩. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري- المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر -الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)-الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٠. محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر(ت٤٠٦هـ) مشكل الحديث وبيانه-المحقق: موسى محمد علي -الناشر: عالم الكتب - بيروت - الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٥١. محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم-تقديم

وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم –تحقيق: د. علي دحروج –نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي –الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني –الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت –الطبعة الأولى – ١٩٩٦م.

٥٢. محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (ت٣٨٦هـ)– قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد–المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي–الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت / لبنان –الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ –٢٠٠٥ م.

٥٣. محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ) تفسير الماتريدي –تأويلات أهل السنة– المحقق: د. مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت لبنان –الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٥٤. محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)– لسان العرب – دار صادر بيروت للنشر – الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٥٥. محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، مكتبة الآداب – القاهرة الطبعة الأولى ٢٠١٠ م.

٥٦. محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي– معجم لغة الفقهاء–الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع –الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٥٧. محمد سالم أبو عاصي –علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات –الناشر: دار البصائر – القاهرة–الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٥٨. محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت ١٣٦٧هـ)–مناهل العرفان في علوم القرآن – الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه– الطبعة الثالثة.

٥٩. محمد علي الصابوني – التبيان في علوم القرآن –دار إحسان بتهران للنشر والتوزيع – الطبعة الثالثة ١٣٩٠هـ.
٦٠. محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)– تفسير الشعراوي – الخواطر– مطابع أخبار اليوم نشر عام ١٩٩٧م
٦١. محي الدين بن علي بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي (ت ٦٣٨هـ) – تفسير القرآن الكريم – بدون دار نشر أو تاريخ طبع.
٦٢. محي الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي المعروف بابن عربي (ت ٦٣٨هـ) الفتوحات المكية–ضبطه وصححه ووضع فهارسه /أحمد شمس الدين – دار الكتب العلمية ببيروت للنشر– الطبعة الأولي ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م –الجزء الثالث.
٦٣. محي الدين عبد القادر الجيلاني (ت ٧١٣هـ) تفسير الجيلاني– تحقيق وتخريج وتعليق /أحمد فريد المزيدي –المكتبة المعروفية باكستان للنشر– طبعة ١٤٣١– ٢٠١٠م.
٦٤. مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت ١٠٦٧هـ)–كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون –مكتبة المثنى – بغداد للنشر ١٩٤١م.
٦٥. نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت ٥٧٣هـ)– شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم–المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله–الناشر: دار الفكر المعاصر ببيروت – الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
٦٦. نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)غرائب القرآن ورغائب الفرقان –المحقق: الشيخ زكريا عميرات –الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت –الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

٦٧. نعمة الله بن محمود النحجواني – الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية – المطبعة العثمانية بدار الخلافة العلية الإسلامية – الطبعة الأولي ١٣٢٥هـ.

٦٨. نور الدين محمد عتر الحلبي –علوم القرآن الكريم الناشر: مطبعة الصباح – دمشق –الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

٦٩. ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (٨٠٨هـ) مقدمة ابن خلدون – حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه / عبد الله محمد الدرويش – دار البلخي بدمشق للنشر – الطبعة الأولي ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م.

فهرس الموضوعات

المحتويات

ملخص البحث: – ٢٤٣
مقدمة ٢٤٥
أسباب الاختيار: ٢٤٧
الدراسات السابقة ٢٤٨
إشكالية الدراسة..... ٢٤٩
تمهيد ٢٥١
أولا: التعريف بالتفسير الإشاري ٢٥١
ثانيا: التعريف بالحال والمقام ٢٥٧
المبحث الأول: التعريف بالتلوين والتمكين عند الصوفية ٢٦٤
المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للتلوين ٢٦٤
أولا: التعريف اللغوي للتلوين..... ٢٦٤
ثانيا: التعريف الاصطلاحي للتلوين..... ٢٦٥
المطلب الثاني: التعريف اللغوي والاصطلاحي للتمكين..... ٢٦٨
أولا: التعريف اللغوي للتمكين: ٢٦٨
ثانيا: التعريف الاصطلاحي للتمكين..... ٢٧٠
ثالثا: المقام والتمكين والفرق بينهما ٢٧١
المطلب الثالث: المقارنة بين التلوين والتمكين ٢٧٣
المطلب الرابع: المحاضرة والمشاهدة وعلاقتهما بالتلوين والتمكين ٢٧٦
المطلب الخامس: التلوين والتمكين عند ابن عربي (ت ٦٣٨ه) ٢٧٧

المطلب السادس: الفرق والجمع وعلاقتهما بالتلوين والتمكين..... ٢٧٩
المطلب السابع: الصحو والسكر وعلاقتهما بالتلوين والتمكين ٢٨١
المبحث الثاني: الجانب التطبيقي للتلوين والتمكين في التفسير الإشاري ٢٨٥
تمهيد: ٢٨٥
المطلب الأول: اختصاص سيدنا محمد ﷺ بمقام التمكين ٢٨٦
المطلب الثاني: التلوين والتمكين بين سيدنا موسي وسيدنا محمد -عليهما السلام - ٢٨٩
المطلب الثالث: سيدنا موسي (عليه السلام) بين التلوين والتمكين ٢٩٥
المطلب الرابع: حال النسوة وامرأة العزيز من سيدنا يوسف(عليه السلام) بين التلوين والتمكين ٢٩٨
المطلب الخامس: النفس الإنسانية بين التلوين والتمكين ٣٠٠
المطلب السادس: الشمس والقمر و حالهما بين التلوين والتمكين..... ٣٠٢
المطلب السابع: سفينة سيدنا نوح (عليه السلام) بين التلوين والتمكين ٣٠٤
المطلب الثامن: بعض آيات الحج بين التلوين والتمكين ٣٠٥
أولا: الطائفون والعاكفون بين التلوين والتمكين ٣٠٥
ثانيا: اختلاف الأهلة بين التلوين والتمكين ٣٠٦
الخاتمة..... ٣٠٨
قائمة المصادر والمراجع0..... ٣١٢
فهرس الموضوعات..... ٣٢٢